دولة ليبيا

وزارة التعليم العالـــي والبحث العلمي

الأكاديمية الليبية

مدرسة الإعلام والفنون

قسم الآثـــــار

مقترح إستكمال متطلبات الإجازة العالية للحصول على درجة الماجستير في الآثـــار

بعنوان

الحياة الفنية الساوية من خلال آثار مدينة قاوى بحوض بحيرة تشاد

إعداد الطالب :-

أبوبكر عبدالرحيم محمد الضي

إشراف الدكتور :-

عبد الله أحمد المحمودي

للعام الأكاديمي 2015 - 2016 ميلادي

بسم الله الرحمن الرحيم

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ
مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ
بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5))

صدق الله العظيم

سورة العلق الآية (1-5)

الإهداء

إلى زوجتي الفاضلة التي وفرت لي الجو الهادئ و المناسب للدراسة والبحث طيلة إعداد هذه الرسالة رغم ظروف انشغالها بالعمل في البيت وخارجه.

وإلى أبنائي أماني وعبد الرحيم ومحمد وآلاء ، وإلى شقيقي أدم وزوجته غالية علي جفيل وكل أفراد أسرتي وأصدقائي.

وإلى أساتذتي وأهل الفضل عليَّ الذين غمروني بالحب والتقدير والنصيحة والتوجيه ، ولكل قائم بالبحوث العلمية ... طالبٍ الأجر من الله ... ولكل محب لفعل الخير ... ساعٍ للفضيلة وكل من سعى وناضل بفكره وبقلمه من أجل أنْ تظل راية العلم خفاقة عالية دائماً .

إلى هؤلاء جميعاً أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع سائلاً الله العلي القدير العظيم أنْ ينفعنا به ويمدنا بتوفيقه دوماً.

الباحث

شكر وتقدير

الشكر لله وحده على توفيقه

وبعد

يطيب لي بعد أنْ مَنَّ الله عليَّ بإنجاز هذا البحث ، أنْ أتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير والإحترام إلى القائمين على إدارة أكاديمية الدراسات العليا بطرابلس ، هذا الصرح العلمي الشامخ ، وذلك لما يبذولونْ من جهود قيمة ومقدرة في سبيل تأهيل الكوادر العلمية العليا من أبناء جمهورية تشاد بصفة خاصة وأبناء القارة الأفريقية بصفة عامة.

ولما يوفرونْ من رعاية وحسن معاملة ولإتاحتهم لنا فرصة الدراسة ، والشكر موصولٌ لجامعة الملك فيصل بتشاد التي أوفدتني للدراسة بليبيا وللشعب الليبي المضياف.

كما أشكر إدارة المعهد العالي لإعداد المعلمين بأنجمينا التي أتاحت لي فرصة هذه الدراسة.

وأتوجه بالشكر الخالص والدعاء الكامل وجميل الثناء إلى أستاذي الجليل الفاضل المشرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور / عبد الله أحمد المحمودي الذي لم يبخل يوماً عليَّ بتصويبه المعلومات ، ولما أسداه لي من نصح وتوجيه وإرشاد بصدر رحب طيلة إعداد هذه الرسالة منذ أنْ كانت فكرة ، الأمر الذي كانْ له الأثر الأكبر في إتمامها وإخراجها بهذه الصورة.

والشكر والعرفانْ موصولانْ لأعضاء لجنة المناقشة ، لقبولهما مناقشة الرسالة والحكم عليها ولما سيضيفانه عليَّ من بحر علمهما فجزاهما الله خير الجزاء .

والشكر موصول لكل من أسهم معي من الزملاء سواء بفكرة أو نصيحة أو إضافة معلومة أو غير ذلك ، وكل الذين قدموا لي يد العونْ مادياً ومعنوياً ، كما أتقدم بأطيب معاني الشكر والتقدير لكل أساتذتي بقسم الآثار لما قدموه لي من نصائح وتوجيهات وإرشادات فتحت أمامي آفاقاً واسعة لطريق العلم والتعلم وما

هذا البحث إلا ثمرة ما أفادوني به من بحر علمهم ، والشكر موصول لعميد مدرسة الإعلام والفنون والعاملين بها.

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر للقائمين على المكتبات التي أمدتني بالمادة العلمية وهي: مكتبة أكاديمية الدراسات العليا ، والمكتبة المركزية ، ومركز الوثائق والمحفوظات بجامعة الملك فيصل بأنجمينا ، ومركز المنى الثقافي ، ومركز سفت ، والأخوة بقسم التاريخ العربي بجامعة أنجمينا ، والمركز الثقافي الليبي بأنجمينا ، والأخوة بمركز الكنفوفور للبحثات العلمية لإعداد الكوادر العليا ، لهؤلاء جميعاً فائق الشكر والتقدير على حسن تعاونهم... وآخر دعواتي أن الحمد لله رب العالمين.

فهر ??لمحتويا ?

ت	الموضوع	الصفحة
1	الآية القرآنية	أ
2	الإهداء	ب
3	الشكر والتقدير	ج
4	المقدمة	1
	المبحث التمهيدي	9
5	المجموعات الساوية الإسم والموطن	9
6	معنى كلمة الساو	13
7	الحدود الجغرافية للمجموعات الساوية	19
	الفصل الأول جذور الحضارة الساوية	**21**
8	المبحث الأول : أصل الساويين موطنهم وهجرتهم ونفوذهم	22
9	المبحث الثاني : الساويون في حوض بحيرة تشاد	46
10	المبحث الثالث : تأسيس المدن الساوية على ضفاف بحيرة تشاد	60
	الفصل الثاني تاريخ قاوي في العهد الساوي	**70**
11	المدخل	71
12	المبحث الأول : موقع مدينة قاوي	76
13	المبحث الثاني دور مدينة قاوي الاقتصادي **(الزراعة ، الصناعة ، التجارة)**	81
14	المبحث الثالث : آثار الساويين في مدينة قاوي	106
15	المبحث الرابع : مقارنة بين الحضارتين الساوية والكنعانية	117
	الفصل الثالث مظاهر الحياة الثقافية والدينية في مدينة قاوي	**122**
16	المبحث الأول : الحياة الثقافية في مدينة قاوي	124
17	المبحث الثاني : الحياة الدينية في مدينة قاوي	136
18	المبحث الثالث : مدينة قاوي نموذجاً للعمارة والسياحة	142
19	الخاتمة والتوصيات	156
20	قائمة المصادر والمراجع	162

المـــــــــــــقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وأحمد الله الذي أعانني ووفقني .

يواجه الباحث في علم الآثار بعض المشاكل التي تجعله عاجزاً في بعض الأحيان عن تحقيق هدفه كاملاً ، لاسيما في ميدان المصادر والمراجع ، وذلك بسبب قلتها وإن وجدت فمعظمها باللّغات الأجنبية لأن الذين كتبوا في هذا المجال ، أي علم الآثار في بدايته ، كان معظمهم من الأجانب، كما تناول هذا العلم العملي بعض الأساتذة العرب الكبار الذين بذلوا جهوداً كبيرة لإظهار حقائق التراث الوطني الذي خلفه لنا الأجداد عبر الأزمنة التاريخية المختلفة والذي يعد ثروة كبيرة نقلت لنا صورة الواقع المعاش في ذلك الماضي البعيد . كما يعد ثروة المستقبل المنظور الأجيال القادمة . وتعتبر الآثار من أهم المصادر التي يعتمد عليها الباحث في بحثه العلمي ، لأن الوثائق لا تكفي وحدها ، إما لندرتها أو لوجود تناقض بين ما جاء فيها أو لاختلاط الحقائق التاريخية فيها بالقصص والأساطير والخرافات . أما الآثار فعلى عكس ذلك فهي تتضمن نقوشاً كتابية وفنونا ثابتة وأصيلة معاصرة للأحداث غير قابلة للتحريف ، وهي بذلك تعتبر للباحث سجلاً حياً لأعمال الرَّسامين والنحاتين عبر العصور التاريخية المختلفة ، وشاهداً مادياً للحضارات القديمة أينما كانت بالكرة الأرضية . وتُعد الآثار المعمارية من بين المعالم البارزة في علم الآثار ، حيث تساعد كثيراً في إيضاح الأمور المتعلقة به في تلك الحقب من تاريخ الأمم السابقة. والمصادر المكتوبة وفى مقدمتها القرآن الكريم ، وهو كلام الله الذي لا يرقى إليه شك ، ولذلك فهو أصدق وأصح المصادر في تاريخ الأمم السابقة ، كما أن كتب

التاريخ والجغرافيا والرحلات الكشفية والأثرية كلها مجتمعة تساعد الباحث في معرفة علم الآثار من أجل الوصول إلى الهدف المطلوب لكتابة أي بحث علمى يكون أقرب إلى الهدف المرجو .

وفي هذا الموضوع يتناول الباحث مظاهر الحضارة الساوية بعنوان الحياة الفنية من خلال آثار مدينة قاوى بحوض بحيرة تشاد ، حيث بلغ الساويون في فن صناعة الأدوات الفخارية والخزفية المختلفة والمصنوعة من الطين المحروق بعد تجفيفه مبلغاً كبيراً، وخاصة إن تقنية الأدوات الخزفية العالية الجودة تعبر لنا عن مدى تحضر شعب الساو ، وأن الشَّعوب السَّاوية وأحفادهم الكوتوكو من بعدهم قد تميزت صناعاتهم ، خاصة جرارهم ، بزخرفة جميلة ومتنوعة في معظم مدن الساو ، وتختلف نوعية الزخارف من مدينة إلى أخري ، وأحياناً تتشابه ، وأنفردت مدينة قاوى ، أحد مواضيع البحث ، والتي تأسست حوالى القرن السادس الميلادي بصناعة المواد الخزفية من الطين المحروق ، ويتميز هذا الطين الأسود بصلابته ، ويستخرج غالباً من مواقع خاصة خارج مدن الساو وهي عبارة عن حفر كبيرة خصصت لهذا الغرض ، وتجمع مدينة قاوى بموقعها الجغرافى المتميز كثيراً من الأنواع الصناعية المختلفة ، مثل الخزفية والفخارية ذات المناظر الجميلة ، وقد أمتدت هذه الحضارة في بعض الدول المجاورة مثل الكاميرون والنيجر ونيجيريا غرباً على ضفاف نهر سربول من الجهة اليمنى لبحيرة تشاد .

خطة البحث

وقد تناول الباحث في الفصل الأول من هذه الدراسة أهمية الساويين ودورهم في نقل حضارتهم لغيرهم من الشعوب المجاورة لهم ، حيث تم تقسيم هذا البحث إلى أربعة فصول _ فصل تمهيدي بعنوان المجموعات الساوية الإسم والموطن بينت فيه الشعوب الساوية والشعوب الوافدة إلى بحيرة تشاد وأسباب الهجرة ، وأن هذه الهجرات نوعين شمالية وشرقية كذلك الحدود الجغرافية لشعب

الساو ، ومعني كلمة الساو مع تعدد الآراء حولها حيث كتبت بعدة صيغ إلا أن اللفظ المتداول والمعروف لدى عامة الكتّاب المحلين او غير المحلين هو الإسم (الساو SAO).

الفصل الأول (جذور الحضارة الساوية) وجاء : فيه أصل الساويين – موطنهم – هجرتهم من وإلي المنطقة التي أستقر بها الساويون في حوض بحيرة تشاد ، وتأسيس المدن الساوية على ضفاف بحيرة تشاد.

الفصل الثاني (تاريخ قاوى في العهد الساوى) وجاء : فيه موقع قاوى جغرافياً ، ودور مدينة قاوي الاقتصادي (الزراعة، الصناعة ، التجارة)، وآثار الساويين في مدينة قاوى ، ثم مقارنة بين الحضارتين الساوية والكنعانية .

الفصل الثالث (مظاهر الحياة الثقافية والدينية في مدينة قاوى) ويتناول الحياة الثقافية في مدينة قاوى، الحياة الدينية في مدينة قاوى قديماً (مبحث أول) ، مدينة قاوى نموذجاً للعمارة والسياحة (مبحث ثاني) .

1. مشكـــــلة الدارســـــة :

إن مشكلة الدَّارسة تكمن في أهمية دراسة الحضارة الساوية في مدينة قاوى ، بمعني لفت الانتباه لمثل هذه الحضارة من قبل المتخصصين بعلم الآثار والمحافظة عليها حتي لا تختفي ، وأختارت الدراسة هذه المدينة لأن بها أكثر الآثار الساوية تعبيراً عن آثار شعب الساو بحوض بحيرة تشاد.

2. أهميـــــــة الدراســـــة :

تكمن أهمية الدراسة في أنها تبرز العديد من الجوانب الفنية والجغرافية والتي لها أهمية خاصة في تاريخ المنطقة ، حيث أن الموقع الجغرافي الاستراتيجي السياحي المهم الذي تميزت به مدينة

قاوى قديماً وحديثاً على حوض بحيرة تشاد مكنها بأن تحتل مركزاً حضارياً سياحياً مهماً في الوقت الحاضر أيضاً .

3. أهـــــداف الدراســـــة :

تهدف الدراسة للمحافظة على الآثار الباقية من الآثار الساوية بمدينة قاوى بصفة خاصة والمدن الساوية بصفة عامة كهدف أول ، كذلك إعطاء فكرة عن الأسباب الرئيسية التي دفعت بالشعب الساوى إلى الهجرة نحو حوض بحيرة تشاد والعوامل المساعدة على ذلك . وتهدف الدراسة من الناحية العملية إلى تحليل مضمون الآثار المتبقية بأماكن الشعب الساوى والإتجاهات الأساسية التي كانت محل نقاش بين الجماعات المهاجرة الى البحيرة .

4. الحدود المكانية والزمنية لمنطقة الدراسة :

أولاً الحدود المكانية : مدينة قاوي والتى تقع مابين الخط 15.24 طولاً و 12.26 عرضاً جنوب شرق بحيرة تشاد ، وتبعد عن مدينة أنجمينا 20 كيلو متر من الجهة الشمالية الشرقية لأنجمينا وذلك على الضفة اليمنى من نهر شارى وعلى ضفاف نهر مالاو .

ثانياً الحدود الزمنية : من 1928م حتى 2001م

5. أسباب أختيار الدراسة :

يشكل الدافع الشخصي السبب الرئيسي وراء هذه الدراسة ، فقد كان الباحث صغيراً في السن عندما سمع كلمة " كنعن " ولم يعرف معناها ، ومع أنه درس علم الآثار بالمرحلة الجامعية وعرف معناها الحقيقي فيما بعد ، إلا أنه أراد أن يتعمق في معرفتها الحقيقية ، ولذلك تتضمن الدراسة مقارنة مع الحضارة الساوية والكنعانية نظراً لتشابهها في بعض الأمور ، كما أن من

أسباب اختيار هذا الموضوع تزويد المكتبة العربية بالجديد وفتح آفاق جديدة للقراء الراغبين في مثل هذا المجال الذي يحتاج إلي عناية خاصة بعلم الآثار الذي يعتبر ثروة المستقبل .

6. فرضيـــــــات الدراســـــــة :

هل فعلاً ثمة معالم للحضارة الساوية ؟ فإذا كانت كذلك فما السبيل للمحافظة عليها من الاندثار، وما هي المخاطر التي تتعرض لها آثار الساو الآن ومستقبلاً ؟ وماهي العوامل التي تساعد على إبقاء هذه المظاهر الحضارية ؟ فكلما كان أثر الحضارة الساوية قوياً أدى ذلك إلى الاهتمام بها من قبل العلماء المتخصصين بعلم الآثار ولفت الانتباه إليها وجذب السائح إليها من الخارج واكتسابها مكانة من بين الحضارات القديمة المعروفة لدي المنظمة الثقافية العالمية "اليونسكو".

7. منهـــــجية الدراســـــــة :

إستندت هذه الدراسة إلى العديد من الإجراءات المنهجية لتحقيق أهدافها ، فتمت الإستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي والتاريخي الواقعي ، ونقصد به إعادة تقديم المادة العلمية المتاحة المكتوبة أو المدونة بطريقة تقليديه على أساس قياس جديد مبني على نظرة متعمقة وشاملة و متكاملة ، وعلى أساس قياس آراء علماء المنطقة في ضوء آراء علماء الآثار المعاصرين ، وأحياناً على الدراسة المقارنة والأستنتاج ، إضافة إلي الحصول على المعلومات من مصادرها وأماكنها ، وبالجمع بين المنهج الوصفي التحليلي والتاريخي حاولت هذه الدراسة أن توضح أثر حضارة الشعب الساوى في وسط أفريقيا حول حوض بحيرة تشاد ، مما أدى إلي ظهور جماعات بشرية قادمة من الخارج كان لها تأثيرات ثقافية جديدة في شعوب أرض البحيرة وما جاورها .

8. الدراســـــات الســـابقـــــة :

هناك دراسات عديدة في إطار علم الآثار أكدت جدوى هذا المنطلق ، أي دراسة حضارة الشعب الساوى بحوض بحيرة تشاد ، فقد زعم البعض أن الأعمال التي حققتها بعض الشعوب في قلب القارة الأفريقية لم تكن لشعوب أفريقية أصيلة ، فأوحوا بأن الساو يرجعون إلى قبائل الهكسوس – أي العماليق الذين غزوا مصر القديمة [1].

ومع أنها دراسات عامة دون أن تكون دراسات متخصصة ، إلا إنها تعتبر أساسية لدراسة هذا الموضوع الذي يتعلق بمظاهر الحضارة الساوية بمدينة { قاوي } ولهذا السبب رأى الباحث بأن يقوم بدراسة مظاهر الحضارة الساوية بحوض بحيرة تشاد بشكل متخصص وإستكمالاً لتلك الدراسات التي أجمعت على أن مدينة قاوي مرت بحضارات عديدة ومن هذه الحضارات الحضارة الساوية وأحفادهم الكوتوكو من بعدهم ، وحضارة البلالة ، وغيرها من الحضارات الأخرى التي مرت بهذه المنطقة وإن المنشآت القائمة حتى الآن هي أكبر شاهد على حضارة الشعب الساوى بالمنطقة وإن مدينة قاوى سوف تكون أنموذجاً لدراسة مدن الساو السياحية بحوض بحيرة تشاد.

9. صعوبـــات الدراســـــــة :

واجهت الباحث في هذه الدراسة عدة صعوبات منها :

1. عدم توافر المراجع العربية الخاصة بالموضوع ، حيث كانت باللغة الفرنسية ، وكذلك المساحة الكبيرة التي انتشرت فيها منطقة الدراسة وبعد المسافة بينها ، الأمر الذي جعل من زيارتها وأخذ الصور لها أمراً بالغ الصعوبة نظراً لوجودها في مناطق صحراوية وكذلك عدم توفر الإمكانيات المادية التي تساعد الباحث في زيارة المواقع الأثرية التي خلفها شعب الساو .

([1])- العشري ، بكر محمود محمد عطية ، الجذور التاريخية التشادية المصرية ، ندوة اللغة العربية في تشاد ، جامعة الملك فيصل بانجمينا – الواقع والمستقبل ، 21-25 يناير 2001م ،منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، طرابلس ، 2003م .

2. إن موضوع الدراسة تتجاذبه العديد من الآراء التي تتحدث عن أصل هؤلاء الساو ، وتكرار المعلومات التي تتعلق بذات الشأن أي الشعب الساوي .

المبحث التمهيدي

- **المجموعات الساوية: الاسم ، الموطن.**
- **معنى كلمة الساو.**
- **الحدود الجغرافية للمجموعات الساوية**

تمهيد

نستطيع أن نعرف كيف جاءت هجرات الشعوب التي هاجرت إلى حوض بحيرة تشاد قديماً. فالهجرات جمع هجرة وهي ترك المكان المألوف والخروج إلى أرض غير أرض الموطن الأصلي وذلك بسبب عوامل الحاجة سعياً وراء الأرزاق والمعيشة.[1]

ونخلص من ذلك إلى أن الهجرات قد تكون بسبب ما ذكرناه ، وإن الحاجة هنا قد تكون متعددة ومتنوعة، منها المعيشية والأمنية والاقتصادية والسياسية والدينية (العقائدية) والعسكرية ، إضافة إلى عوامل الطبيعة مثل الكوارث، سيول، أمطار غزيرة، براكين، زلازل، وغيرها. وقد تعرض القرآن الكريم لكثير من الأمم السابقة والتي بات و اندثرت تماماً ، مثل عاد وثمود وغيرهما من الأمم ، قال تعالى ((ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد * وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذى الأوتاد*)) صدق الله العظيم.[2]

وقد انتشر العرب في مساحات هائلة من العالم القديم، وذلك عبر هجرات ورحلات متتابعة في فترات ما قبل التاريخ، فانتشروا في أفريقيا وآسيا حتى وصلوا إلى وسط أفريقيا وغيرها ، ولكن هؤلاء المهاجرين لم يهتموا بتدوين أو ضاع واندثر ما دونوه بسبب عوامل الزمن والطبيعة ، وتعتبر المعلومات التي كشفت عنها الآثار والبحوث قليلة ، ولكنها مهمة جداً لأنها وضحت الكثير من أحوالهم المختلفة[3].

---

(1) –عبداللطيف،علي محمد ، أفريقيا العربية ، ط1 ، مكتب الاعلام والبحوث والنشر بجمعية الدعوة الاسلامية ،بنغازي ، 1998م، ص28.

(2) –سورة الفجر : الاية من 6 إلى 10 .

(3) - عبداللطيف،علي محمد ، مرجع سبق ذكره. ص 20.

وقد كان السبب وراء هذه الهجرات من منطقة شبه الجزيرة العربية ما تعرضت له المنطقة في فترات ما قبل التاريخ من حالة جفاف وانعدام سقوط الأمطار لقرون متوالية ، الأمر الذي تسبب في تصحر المنطقة و دفع بالسكان إلى الهجرة بحثاً عن الماء والكلاء والمرعى ، فاتجهوا نحو الجنوب حيث العيش الرغد في اليمن ، وإلى العراق حيث دجلة والفرات ، وإلى مصر ووادي النيل غرباً حيث تتوفر سبل الحياة المناسبة .[1] وتوضح لنا هذه المعلومات عن مدى أهمية المجاري المائية والبيئة المناسبة لقيام المجتمعات المتحضرة .

ويوضح دافيدسون أن معظم الحضارات الإنسانية القديمة قد نشأت حول مجاري الأنهار والوديان التي تتميز بالري الطبيعي والتربة المتجددة، وأن هذه الأنهار تعطي سنوياً أرضاً جديدة صالحة للزراعة، وهو ما مكن الإنسان من إنتاج الطعام بدلاً من صيده أو جمعه، وتغيير حياته التي كانت تقوم أساساً على التنقل من مكان لآخر، فاستقر لعدة سنين في مكان واحد حتى واجهته المشكلات الفنية للزراعة والاستقرار النهائي الذي يعني تقسيم العمل ونمو المدن أي الحضارة المركزية.[2]

هذا من جانب هجرة وانتشار الساميين في أماكن أخرى، أما من جهة الحاميين فقد دلت تحليلات لآلاف النقوش والكتابات الخاصة بتاريخ المصريين القدماء على أن الفراعنة حاميون من نسل حام بن نوح وابنه كوش الذين هاجروا إلى وادي النيل.[3]

([1]) -عبد اللطيف ، علي محمد ، أفريقيا العربية ، مرجع سابق ، ص 39.

([2])-دافيدسون ، باسيل، افريقيا القديمة تكتشف من جديد ،ترجمة نبيل بدور سعد زغلول ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، (ب،ت،ن) ، ص 14 -15.

([3])-عبد اللطيف / محمد علي ، مرجع سبق ذكره ، ص 33.

ويبين لنا ذلك مدى قدم هجرة الحاميين وتوجههم إلى أفريقيا على حسب رأي علماء الاجتماع والأجناس ، حيث ينقسم هؤلاء إلى قسمين كبيرين هم الحاميين الشرقيين ، والحاميين الشماليين ، وإن تكن بدايتهم غير معروفة مثلهم في ذلك مثل الزنوج ، فربما بدأوا أولاً في أفريقيا وآسيا ووصلوا القارة الأفريقية عبر هجرات ليست مؤكدة ، ويذكر أحد المتخصصين في تاريخ الأجناس البشرية وهو الدكتور بسبلاك ، أن الزنوج جاؤوا وراء الحاميين إلى شرق القارة الأفريقية، ويظن أن الحاميين قد ظهروا في شرق القارة الأفريقية منذ (5000 سنة قبل الميلاد)، ثم بعد ذلك في زمن متأخر جداً حدث غزو زنجي نتج عنه أن السكان أصبحوا نصف حاميين.[1]

ويزيد دافيدسون على ذلك أن هناك شك في أن البوشمن والزنوج والحاميين قد اختلطوا منذ زمن قديم، وخرج منهم معظم الأفريقيون الحديثون، وفي الحقيقة أن زنوج السودان الأوسط من حام بن نوح عليه السلام. ومنذ حوالي (6000) أو (5000) سنة مضت بدأت شعوب القارة الأفريقية تتحرك وتتزايد، ونمت الزراعة المستمرة في شمال القارة.[2]

ومنذ 2.000.000 مليوني سنة مضت قبل الميلاد ربما يكون الناس الأوائل قد عاشوا في أفريقيا الشرقية، وفي 5000 قبل الميلاد عرفوا ممارسة الزراعة في أفريقيا وفي 3100 قبل الميلاد تم توحيد مصر العليا ومصر السفلى في بلد واحد ، وفي 3000 قبل الميلاد ظهرت مملكة أكوش إلى الجنوب من مصر.[3]

نستنتج من كل ما سبق أن القارة الأفريقية ربما كانت مهد البشرية أجمع لأن معظم الاكتشافات الأثرية تشير إلى وجود الإنسان بهذه القارة قبل غيرها .

([1])-دافيدسون ، المرجع سبق ذكره ، ص11.
([2])- نفس المرجع، ص 12.
([3])- الموسوعةالعربية العالمية ، أعمال المؤسسة للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1999 م ، ص 65.

وفي سنة 2001م وفي صحراء تشاد وتحديداً بمنطقة كوروتور على بعد800 كم شمال مدينة أنجمينا، وبواسطة فريق من علماء الآثار الفرنسيين والتشاديين بالبحث في الموقع، توروسمنيالا اكتشف أحد أعضاء الفريق وهو "أهو نتاجيمدومالباي" جمجمة في الرمال تعود إلى (7) ملايين سنة قبل الميلاد ، وهي تعود إلى كائن ليس إنساناً ولا قرداً ولكنه كائن واقف، وهو سلف الإنسان الأقدم حتى اليوم حسب رأي علماء الآثار ، وقد أطلق عليه اسم (توماي) من قبل الرئيس إدريس ديبي إتنو، الاسم الذي يعني باللغة القرعانية (الأمل بالحياة)[1]ونخلص من ذلك الى دليل آخر على الوجود البشري بالقارة الأفريقية قديماً .

(1)-تاريخ تشاد، من عصر ما قبل التاريخ حتي أيامنا هذه، منشورات JACAB_طبع بواسطة لوار_اوفستتيتولية سانت اتيان ،2013م ، ص.ص12-13.

معنى كلمة الساو

كلمة الساو من الكلمات التي اختلفت الآراء حول ضبط كتاباتها ، وأصلها ، وأشتقاق معناها، ونطقها خارجياً ومحلياً، إذ أن الكتَّاب الغربيين كتبوها بطرق مختلفة ، فنجدهم يكتبونها على هذه الأشكال: (so) و(soo) و(soov) وsavو(sao)(tso) (nsooh). [1]

ولم نجد في القواميس الفرنسية اشتقاقاً لغوياً لكلمة الساو التي كتبت باللغة الغربية ، لأن علماء الآثار الفرنسيين أول من كتب في هذه الآثار الساوية بحوض بحيرة تشاد. أما في اللغة العربية فلك أن تكتب اسم الساو بالصاد أو بالسين كما ينطقها العرب الذين استوطنوا حوض البحيرة ، ولذلك فقد كتبها العرب كما يلي : الساو، أو الصاو أو الصو. وعلى الرغم من ذلك الاختلاف اللفظي فقد احتفظ المؤرخون في الوقت الحاضر بتفسيرين لهذا الاختلاف وهما:-

1. فسرت كلمة ساو (sao) بأنها مشتقة من كلمة (sawe) والتي تعني (سور أو حائط) بلهجة " الكوتوكو " سكان غلفي ، وهذه التسمية تجرنا إلى الاعتقاد بأن كلمة ساو تعني باني الأسوار[2] لأن أغلب مدن الساو بها سور يحيط بالمدينة من جميع النواحي .

أما التفسير الثاني فهو الذي أطلقه عرب سكان البحيرة (saw) بمعنى فعل أو عمل ، ونخلص من ذلك أن كلمة ساو تعني فعل الإنسان الماضي ، وبالتالي فإن الشعب الساوي كانت له صلة بالشعوب العربية ، ولأن الاسم غير ثابت وهو قابل للتغيير وفقاً للتداول بين السكان المحليين والمهاجرين القادمين من الخارج ، أي من خارج المنطقة ، فإن مع مرور الزمن يحصل تغيير

---

(1)- JEAN PAUL LE BEUF ET MASSON DE TROVBET,LA CIVILISATION TION DV TCHAD, 1950, PARIS, P,13.

(2)-بن يونس، ابراهيم صالح ، تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم ، شركة البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة ، 1976 م ، ص 96.

في بعض المصطلحات.[1] فالدكتور ابراهيم علي طرخان يكتبها(صو)[2] ، بينما كتبها ابراهيم صالح بن يونس الحسني (صاو)[3] ، وعندما رجعنا إلى القواميس العربية وجدنا أن كلمة (الصو) تعني الفارغ = الصاو = اليابس.[4]

الساو مصدره سأ ويقصد به المهمة ، والجهة ، أو القبلة التي يراد قصدها ، وكذلك الوطن ، وأن ساوى = مساواة تعني المماثلة والمعادلة.

سواه = قوَّمه وعدَّله وجعله سوياً. قال تعالى (الذي خلقك فسواك فعدلك، سورة الأنفطار (7))[5] استوى: استقام واعتدل، والشيئان تساويا : تماثلا وتعادلا.

تُجمع / أسواء وتجمع على سواسية على غير قياس.[6]ساواهُ ماثله وعادله ويقال ساوى فلان قرنه به في العلم وغيره.

عدل يقال سويت عليه الأرض أي هلك ودفن فيها[7] ، ساوى الشيء =عادله، يقال هذا لا يساوي درهما، كذلك قيل أن كلمة ساو أصلها أمهرية وتعني إنسان[8] ، ومن ناحية نطقها أو لفظها يذكر "جان بول لوبييف" أن اللفظ المحلي ينطقها السكان (ساو sao) [9]، و يرجح البحث البحث هذا الرأي ، حيث ينطقها أهالي المنطقة من العرب سكان حوض البحيرة والكوتوكو سكان

([1])- ابن خلدون ، العلامة عبد الرحمن ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ1 ،، دار الفكر مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت ، 1971م ، ص85 .

([2])-طرخان ، علي ابراهيم ، امبراطورية برنو الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ، 1975 م ، ص 14.

([3])-بن يونس،ابراهيم صالح ،المرجع سبق ذكره، ص 15.

([4])-المنجد في اللغة و الاعلام، المطبعة الكاثوليكية، ط 36، ط 22، اعلام، دار الشرق بيروت ، 1997 م ، ص49.

([5])-أنيس ، ابراهيم وآخرون ، الوسيط ، ط 1 ، القاهرة ، 1972 م ، ص 941.

([6])- نفس المرجع، ص492.

([7])-المنجد في اللغة ، المطبعة الكاثوليكية، مرجع سابق ، ص50.

([8])-lebevf.jpimasson,d.lacivilisationdttchad, payot. 1950.Paris.p.26

([9])- عثمان، أحمد عثمان، أثر الهجرات البشرية في قيام حضارة الساو، بحث الدراسات المعمقة في التاريخ والحضارة، جامعة الملك فيصل، انجمينا ، 2005م ، ص 11.

مدينة (قاوي) تمت ملاحظة ذلك أثناء فترة الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث حيث أجرى العديد من المقابلات الشخصية ومن ضمنها مقابلة مع سلطان (قاوي) الحالي حسن عبد الله محمد سلطان قاوي . وهناك من يرى بأن كلمة ساو جاءت من الملك سو (so) للأسرة الخامسة والعشرين المصرية ، بينما يذكر رأي آخر بأنها جاءت من المهاجرين البيض الذين أطلق عليهم أهل الشام اسم الساو (sao) [1] . وفي معنى كلمة الساو يرى بالمر (palmer) بأنها تعني (العماليق) ، وذلك على حسب الحكايات والقصص المحلية.[2] والعماليق هم سكان وادي شمال شبه الجزيرة العربية الذين أمتد ملكهم حتى شبه جزيرة سيناء، وقد سماهم البابليون (ماليق) ثم أضاف اليهم العبرانيون كلمة (عم) التي تعني أمة فحرفها العرب إلى (عماليق) وقد عرفوا في مصر باسم الهكسوس الذي يعني الرعاة.[3]

وللوصـــول لمعنى هذه التسمية يمكننا تتبع المسميات التي تحمـــل نفس هذا الاســـم أو تقترب منه أو تشبهه:-

ففي المنطقة الواقعة بين الري وهمذان بإيران توجد مدينة تسمى ساوه ينسب إليها العالم أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل بن يوسف الساوي.[4]

---

(1)- عثمان، أحمد عثمان، مرجع سابق، ص12.
(2)- الدكو ، فضل كلود، الثقافة الاسلامية في تشاد في العصر الذهبي للإمبراطورية كانم من 600 – 1000 هـ، 1200-1600 م ، ط1 ، منشورات كلية الدعوة الاسلامية ، طرابلس ،1998 ، ص 52.
(3)- وجدي، محمد فريد ، دائرة معارف القرن العشرين ، ج9 ، ط3 ، تاريخ مكة ، دار المعرفة ، بيروت ، 1971م، ص 50 .
(4)- الحموي، ياقوت، معجم البلدان،ج3، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990م ، ص25 .

وفي صعيد مصر بنواحي مدينة البهنسا من الصعيد الأدنى بمصر هناك قرية أطلق عليها اسم ساو.[1]

وإذا عدنا إلى منطقة حوض بحيرة تشاد فإن هناك شواهد مختلفة أطلق عليها اسم الساو: إذ يوجد مجرى مائي يحمل اسم بحر ساو، وأيضا مجرى آخر يسمى جولال ساو، وفي الشرق خاصة في منطقة المرتفعات يوجد مرتفع أطلق عليه اسم حجر ساو.[2]

وتوحى لنا هذه المناطق والشواهد المختلفة التي سميت باسم الساو بأن هذا الاسم يعود إلى البشر الذين اعتادوا الهجرات والتنقلات من مكان لآخر، فربما قدموا إلى هذه المنطقة، منطقة حوض بحيرة تشاد، وأن الأسماء قابلة للتغيير إضافةً أو حذفاً ، وذلك وفقاً لاستخداماتها خلال الفترات الزمنية المختلفة، ولذا يرجح الباحث رأي " بالمر " الذي ذكر فيه أن كلمة الساو تعني العماليق، وأن الساو عرب رعاة اعتادوا الهجرة والتنقل، فيمكن أن يكون قد أطلقوا اسم الساو على المدن والقرى التي دخلوها أو أنشأوها، كذلك بعض المناطق التي سكنوها والتي كان لهم فيها الغلبة والسلطان والانتشار ، ونشروها أيضاً في منطقة حوض بحيرة تشاد وأصبحت اليوم علماً لدى الجميع بتشاد أي أن هناك أماكن عرفت باسم الساو حتى صارت حضارة فشملت الجماعات الأخرى التي كانت تحت سلطانهم أو اشتركت معهم في إقامة هذه الحضارة ، لأن هؤلاء يمتازون بالغزو دائماً.[3] فقد عرف عنهم أنهم شعوب تحب الهجوم على الآخرين لأنها لا تجد صعوبة في ذلك، انظر شكل رقم (1.1) (خريطة للحضور الساوي).

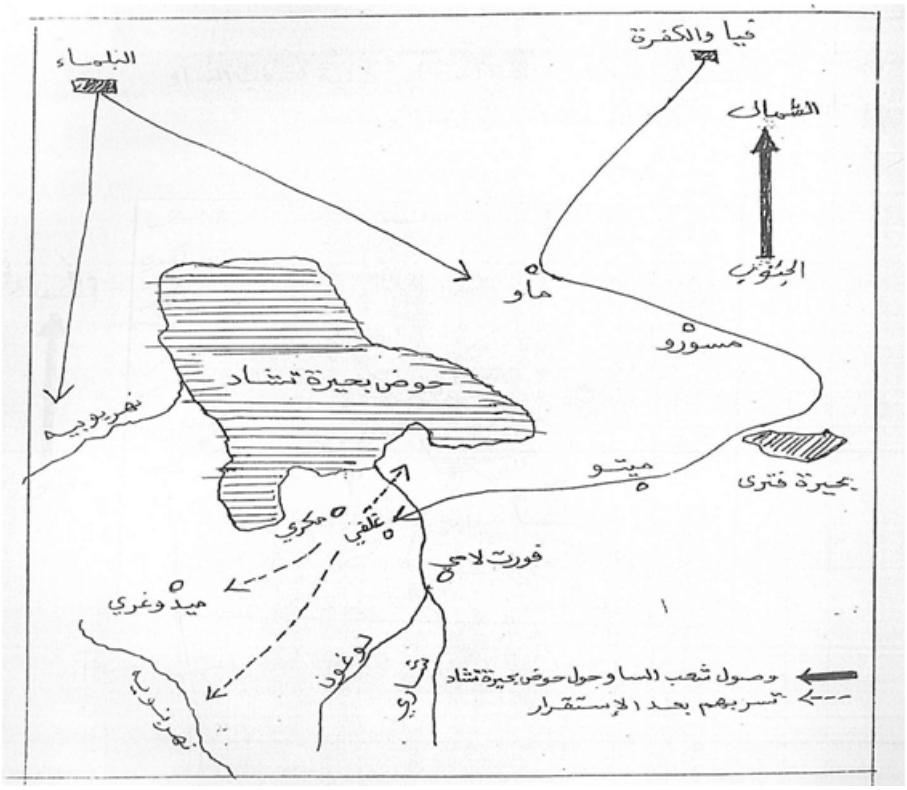
---

[1]- نفس المرجع، ص26.

[2]- lebevf-op-cit,p12

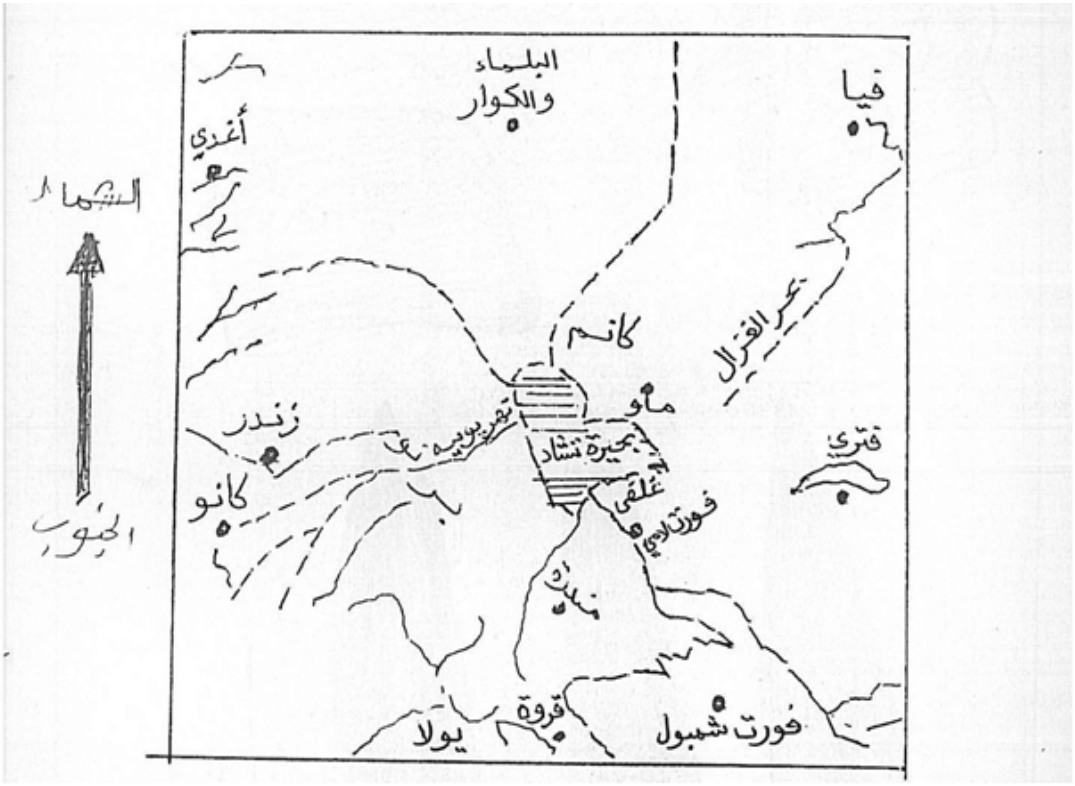
[3]- كي زيربو، جوزيف، تاريخ أفريقيا السوداء ، ترجمة د/ عقيل الشيخ حسين سلسلة دراسات أفريقيا (15) ، ط1 ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام مصراته ،2001 م ، ص 104.

وتعتبر هذه الشعوب الساوية من الشعوب القديمة التي هاجرت إلى قارة أفريقيا ومن ثم وصلت إلى حوض بحيرة تشاد وضواحيها ومحيطها و يرجح الباحث ما جاء في المصادر التي كتبت عن هؤلاء هو شبه الجزيرة العربية .[1]



شكل (1.أ) خريطة توضح وصول شعب الساو حوض بحيرة تشاد.

[1]- نقلاً من كتاب الثقافة التشادية ص 33 .



شكل (1.ب) خريطة عامة توضح المواضع السكنية لشعب الساو في منطقة السودان الأوسط[1]

[1]- نفس المرجع السابق ، ص 38.

الحدود الجغرافية للشعوب الساوية:-

الحدود الجغرافية لشعب الساو الذي كان يسكن جزء كبير منه بالسودان الأوسط ، هى الجزء الغربي من السودان أو غرب أفريقيا ، وعرف أيضًا بأفريقيا جنوب الصحراء ، وهذه كلها مصطلحات وتسميات أطلقها الكتَّاب العرب وأصبحت علماً متداولاً بين العامة والخاصة ، وتبعهم في ذلك الكتَّاب الأوروبيون ، حيث حددوا هذه المنطقة من حوض بحيرة تشاد إلى ساحل المحيط الأطلسي غرباً ، وإلى بلاد الحبشة شرقاً ، وتشمل هذه المساحة أراضي السافانا التي تلتقي مع منطقة الغابات الاستوائية.[1]

واصطلح المؤرخون العرب عليها بكلمة السودان الأوسط وأردوا بها المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى وشمال خط الاستواء، الممتدة من البحر الأحمر شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً.[2]

وهناك أوصاف أخرى في غير هذا الجزء من القارة الأفريقية ، " فالاصطخري " يصف بلاد السودان بقوله: (أنها بلاد عريقة وليس في الأقاليم للسودان من الحبشة والبجة وغيرهم إقليم واسع منه يمتدون إلى البحر المحيط مما يلي الجنوب والشمال على مفازة تنتهي إلى مصر من وراء الواحات.[3]

---

[1]- الدكو، فضل كلود، الثقافة الاسلامية في تشاد في العصر الذهبي لمملكة كانم، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط1، طرابلس ، 1998م ،ص27.

[2]- غيث ، امطير سعد ، التأثير العربي الاسلامي في السودان الغربي فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر ، دار الرواد ط1 ، طرابلس ، 1996م، ص 22.

[3]- المرجع نفسه، ص 23.

وكلمة السودان الأوسط أطلقها العرب الجغرافيون على المنطقة الممتدة من الضفة الشرقية لنهر النيجر الأوسط حتى الضفة الغربية للنيل الأبيض، ومن فزان شمالاً إلى الغابات الإستوائية جنوباً، وتضم هذه المنطقة اليوم مجموعة دول وهي: النيجر ونيجيريا وأفريقيا الوسطى وتشاد وجنوب ليبيا وغرب السودان والكاميرون. [1]

مما سبق نستطيع تحديد جغرافية الشعوب الساوية التي أقامت حضارة متنوعة بحوض بحيرة تشاد داخل السودان الأوسط (قديما) ، والتي شهدت قيام حضارات هذه الشعوب ومدنياتها الزاهرة عبر الأزمنة المختلفة. فالشعب الساوى انتشر على ما يبدو في مناطق شاسعة داخل القارة الأفريقية وكون حضارة بحوض بحيرة تشاد والتي عرفت بحضارة (الطين) أو (الفخار).

[1]- الماحي ، عبد الرحمن عمر ، المجتمع التشادي في عهد الاحتلال الفرنسي (1918_1960 م)، الجريسي القاهرة ، 1997 م ، ص 89.

الفصل الأول : جذور الحضارة الساوية.

المبحث الأول : أصل الساويين " موطنهم وهجرتهم ونفوذهم" .

المبحث الثاني : الساويون في حوض بحيرة تشاد.

المبحث الثالث : تأسيس المدن الساوية على ضفاف بحيرة تشاد.

المبحث الأول : أصل الساويين " موطنهم ، هجرتهم ، نفوذهم ".

تعددت الآراء بهذا الخصوص متعارضت حيناً ، وتوافقت أحيانا من أين جاء الساويون إلى بحيرة تشاد؟ وأين كان موطنهم الأصلي الأول؟ فجاءت آرائهم على شكل نظريات وفرضيات، وبحوث مستمدة من الروايات الشفوية ، ومن الأماكن الأثرية التي حل بها هؤلاء السَّاو وأحفادهم (الكوتوكو) من بعدهم، ورأى البعض أن أرض هؤلاء هي شبه الجزيرة العربية والتى كانت المهد الأول للساويين (العمالقة).[1]

وذهب بعض منهم إلى أن ما تعرضت له شبه الجزيرة العربية من تغير ظروف المناخ كان له أثر كبير على الموطن الأصلي للشعوب الساوية جفافاً واجداباً فتركته المجموعات بحثاً عن آفاق جديدة تجد في خيراتها ما بدأت تفتقده من أسباب الحياة المناسبة ، وقد عُرفت القرون السابقة لفترة ما قبل الميلاد ، وما بعدها في أفريقيا السوداء بالقرون الغامضة ، وهي التي شهدت حضارات وادي النيل ، وهجرات إلى عمق القارة الأفريقية وإقامة علاقات مميزة ومنظمة ، وإلى جانب ذلك كان الفينيقيون واليونانيون والعرب يتداولون الهيمنة على البحرين الأحمر والمتوسط (خاصة في مجال التجارة) وخلال هذه الفترة حدثت هجرات بشرية وتمازجت في جنوب الصحراء الكبرى (الأفريقية الشمالية).[2]

وخلاصة هذه المعلومات أن هنالك هجرات حصلت في التاريخ القديم، وقد توجهت إلى عمق القارة الأفريقية التي منها منطقة حوض بحيرة تشاد، ومن بين هذه الهجرات كانت هجرات

---

[1]- تنقو ، صالح أحمد ، أضواء على تاريخ السودان من داكار إلى بوتسودان ، جـ2 ، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ، الخرطوم ، 2011م ، ص 75.

[2]- كي زيربو، جوزيف : تاريخ أفريقيا السوداء، سلسلة دراسات أفريقيا (10) ترجمة د/ عقيل الشيخ حسين ، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، ، مصراتة ، 2001 م ، ص 139.

وادي النيل ، وقد أشارت التنقيبات الأثرية التي أجراها علماء الآثار الفرنسيون لكل من لوبييف وماسودو في الفترة مابين عامي (1936_1948م) والتى أفادت مخرجاتها إلى أن هناك اتصالاً وثيقاً بين وادي النيل ومنطقتي النيجر وحوض بحيرة تشاد.[1]

ولو تتبعنا دراسة هذه الهجرات والاتصالات من منطقة وادي النيل إلى منطقة حوض بحيرة تشاد ، لاستنتجنا منها بحسب الأقدمية لهذه الحضارات (وهي حضارة وادي النيل) حيث أن حضارة مصر الفرعونية تتمتع بموقع جغرافي استراتيجي مهم جداً إذ كانت تتوسط آسيا والبحر الأبيض المتوسط والكتلة الأفريقية في الجنوب.[2]

وعندما شهد وادي النيل كثافة سكانية للجماعات البشرية في الألف الرابع قبل الميلاد، تأسست الحضارة الفرعونية وعقبتها صراعات أدت إلى تكوين مجموعتين كبيرتين من الأسر المتحاربة، وكانت الأولى في الشمال وعاصمتها (هليوبوليس) ، والأخرى في الجنوب وعاصمتها (طيبة) إذ ظهر الملك نارمر الذي تمكن من توحيد وادي النيل حتى الشلال الأول في مملكة واحدة تحت سلطانه.[3]

ونظراً لميزة الموقع الجغرافي لوادي النيل ومنطقة حوض بحيرة تشاد يمكننا وضع احتمالات ترشح المنطقة الأخيرة لجذب الهجرات والاتصالات في حـالات السلم والاضطرابات البشرية الحربية ، إذ حدثت اضطرابات في زمن الإمبراطورية القديمة من (3500–2000) قبل الميلاد قادها الشعب من أجل الحصول على امتياز أوزيريس الذي كان محصوراً على الفراعنة فقط دون غيرهم وكذلك في عهد السلالة الوسطى من (2000–1580) قبل الميلاد أيضاً حدثت حروب

---

(1)–الدكو ، فضل كلود: الثقافة الاسلامية في تشاد العصر الذهبي لامبراطورية كانم ، مرجع سابق ، ص54.
(2)- كي زيربو ، سبق ذكره ، ص 103.
(3)- كي زيربو ، سبق ذكره ، ص 103.

تزعمها " أمنحت الأول " الذي قدم من الجنوب وتمكن من طرد قبائل العماليق العربية [1] التي قدمت من آسيا سنة (1700) قبل الميلاد ، وقد تمكنت قبائل العماليق أثناء هذه الغزوات والاضطرابات من غزو مصر وتأسيس الآسر الرابعة عشرة حتى السابعة عشرة[2] ، وفي زمن الإمبراطورية الجديدة حوالي (1580–1100) قبل الميلاد ، تم طرد العماليق من قبل (أمنيوفيس) الأول الذي جاء من الجنوب واستقر في (طيبة) ولكن العمالقة ظلت لهم السيطرة على الأجزاء الشمالية والوسطى من مصر.[3] وفي عهد الإمبراطورية الجديدة حدث صراع بين أمنيوفيس الرابع وكهنة حراس العادات الدينية بسبب محاولته ترك عبادة الشمس (الإله أمون) لتحل عبادة قرص الشمس لحظة مروره في كبد السماء (إله رع _اتون) محلها ، فغير عاصمته إلى تل العمرانة بشكل كامل ، إضافة إلى أن تدخلاً حدث من قبل كوش في شؤون مصر في فترة السلالة التاسعة عشر والرابعة والعشرين مما أدى إلى فرض السلالة السايتية من قبل الأشوريين وقد تدخل الليبيون أيضاً في شؤون مصر فتمت لهم السيطرة عام (950) قبل الميلاد، وحكموا الشمال إضافة إلى تحقيق كوش استقلالها من مصر.[4]

فهذه الاضطرابات والغزوات والصراعات والانفصالات التي عاشتها مصر الفرعونية القديمة ، لابد لها أن تُحدِث هجرات بشرية نحو الخارج بحثاً عن الأمن ، علماً أن الشرق والشمال كانا مهددين بغزوات الهكسوس والليبيين، وكانت قوة كوش تتمركز في الجنوب ، وعلى هذا الأساس

---

[1]- المرجع نفسه، ص102.

[2]- المرجع نفسه، ص ص103-104.

[3]- دافيدسون، باسيل ، أفريقيا القديمة تكتشف من جديد، ترجمة نبيل بدر وسعد زغلول ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ، (ب،ت،ن) ، ص24.

[4]- عثمان، أحمد عثمان، أثر الهجرات البشرية القديمة في قيام حضارة الساو ، مرجع سابق ، ص 21.

فإن الاتجاه الآمن هو المنطقة الغربية لمصر وهي منطقة حوض بحيرة تشاد. ومما ساعد على ذلك أيضاً أن المصريين على حسب رأي " أركل " كانت لهم معرفة بالأقطار الأفريقية .

ويقول رأي آخر أن المصريين حاولوا خرق عمق القارة الأفريقية على طول نهر النيل حتى الشلال الرابع على الأقل، وربما حاولوا أيضاً الوصول أو التوغل نحو حوض بحيرة تشاد عبر الأودية القديمة التي تفتح على الضفة اليسرى للنيل[1] ، وربما حالت الأحداث التي تعرضت لها مصر دون ذلك.

الهجرات القديمة للمجموعات الساوية في حوض بحيرة تشاد:-

تعاقب وصول الجماعات البشرية المهاجرة للقارة الأفريقية على أمتداد العصور ، وقد كان من بينها الهجـرات التي قام بها العرب منذ قديم الزمان من أجـل التجارة وكسب العيش الأفضل كهدف أولي ، والاستطلاع الجغرافي للأماكن المجهولة ، أو تلك الهجرات التي اجبروا عليها بسبب طبيعة الظروف القاسية الطاردة التي كانت بشبه الجزيرة العربية ، وتختلف المصادر التاريخية حول التحديد الدقيق لهذه الهجرات الأولى إلى هذه المنطقة.[2]

كانت الجزيرة العربية تعتبر مستودعاً بشرياً عظيماً يفيض بالهجرات البشرية على مدى العصور القديمة ، وخاصة هجرات الأقوام السامية منها ، حيث كانت الجزيرة العربية من قبل أكثر مطراً وأغزر عشباً ، وقد اعتراها الجفاف بعد العصر المطير منذ عشرة آلاف سنة فأجبرت هذه الطبيعة الجافة الطاردة للكثير من السكان بالهجرة إلى البلدان المجاورة ذات المصادر المائية ،

---

[1]- المرجع نفسه ، ص 21.

[2]- ضيدان، حميد دولاب ، الجذور التاريخية للصلات العربية والأفريقية ، ط 36 ، مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، سبها ، 1993 م ، ص 37.

وفي مقدمتها الموجة المتجهة صوب القارة الأفريقية وبلاد الرافدين (دجلة والفرات).[1]وهناك رأي آخر يقول ضاقت الجزيرة بسكانها بسبب الجفاف الذي أصابها، وكانت اليمن قبل إنهيار سد مأرب كثيرة الأمطار غنية التربة حافلة بالناس، فلما أنهار السد ضاقت اليمن بسكانها فاتجه العرب منذ ذلك الزمن إلى الهجرة إلى بلاد الشام والعراق ومصر ثم إلى أفريقيا. وقد أخذت الهجرات طريقها عبر البحر الأحمر، ولم يتوقف نشاطها عند السَّاحل بل تجاوزت ذلك وتعمقت في كثير من الأحوال حتى وصلت إلى قلب القارة الأفريقية.[2]

وبهذا يتبين لنا من أن موجات الهجرة كانت تتدفق من الجزيرة العربية إلى القارة الأفريقية منذ قديم الزمان حتى وصلت إلى منطقة حوض بحيرة تشاد.

وتقول السَّيدة أني لوبييف: أن شعب الساو قدم من الشرق في زمن غير محدد_ وغزو قولفو (مجهولة الاتجاه) جزيرة لا شمس فيها ماؤها أسود وعميق لا يستطيع الإنسان أن ينظر إليه، بها معدن لامع يضئ أثناء الليل ، وفي رواية أخرى أن الساو جاؤوا من خيبر شمال مكة وهاجروا عندما أغرق الفيضان حصادهم الزراعي الذي يعتبر العنصر الأساسي لحياتهم الغذائية [3].

وإن تكن الباحثة لوبيف توصلت في بحثها إلى أن الشعب الساوى قدم من شبه الجزيرة العربية بعد أن طرأت عليها العوامل الطبيعية الطاردة ، مثل الجفاف والفيضان ، إلا أنها لم تذكر لنا الأماكن التي مر بها الشعب الساوى في طريقه إلى منطقة تشاد ، في حين تقول في موضع آخر أن الشعب الساوى نُفِى من قبل الفراعنة بمصر والفرعوني الذي قام بهذا العمل اسمه

---

[1]_ المرجع نفسه ، ص 38.

[2]_ شمس ، أدم كردي ، تشاد والإسلام ومعركة التحديات ، الرياض، 1993م ، ص 43.

[3]- أدم، يوسف شعيب ، أصل شعب الساو وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية ، بحث مقدم إلى جامعة أنجمينا- قسم التاريخ ، 2000م ، ص21 .

جيولوتاري حيث فرض عليهم الضرائب الثقيلة (الكثيرة) ومن لم يستطع الدفع يقوم بسجنه وضربه حتى الموت، وملك الساو _ شداد (Hddad) فهربوا ليلاً، وأشعلوا ناراً ليهتدوا بها ، ثم وصلوا إلى صحراء ربما تكون دارفور، و مات أغلبهم بسبب العطش والجوع ووصل الباقون إلى أراضي السودان الغربي (تشاد).[1]

ومهما يكن من أمر فإن الساويين منحدرون من الشرق حيث أنهم أجبروا إلى الهجرة بسبب الضغوطات السياسية التي مورست ضدهم مما دفعهم للهجرة إلى المناطق البعيدة صوب القارة الأفريقية، وخاصة منطقة السُّودان الأوسط، ويقول الشيخ إبراهيم صالح بن يونس: " أن الشعب الساوى لم يسكن هذه المنطقة فحسب بل في المناطق السودانية والصحراء الوسطى وتقول المصادر أن العرب هم الذين لقبوهم بهذا الاسم، وأنهم سكنوا منطقة فزان (جنوب ليبيا حالياً) حوالي القرن السابع الميلادي".[2]

ومن الملاحظ أن الشعب الساوى أنتشر في مناطق شاسعة ببلاد السودان الأوسط قديماً، وتتميز منطقة حوض بحيرة تشاد في العهود القديمة بالدور الهام الذي لعبته من الناحية التاريخية في إقليم غرب أفريقية ووسطها حيث تعاقبت عدة جماعات بشرية في إدارة هذه المنطقة منذ أقدم العصور ..... وأن أول من حكم المنطقة التي عرفت في التاريخ ببحيرة تشاد (هم شعب الساوsao).[3] وتعتبر منطقة البحيرة منطقة ذات أهمية استراتيجية طبيعية ، لخلوها من العوائق الطبيعية مثل: الصحاري والمرتفعات الجبلية ، فقد انحدر إليها من الشرق العرب ، كما وصل

---

[1]-بن يونس ، إبراهيم صالح ، تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم برنو، مرجع سابق،ص ص90-92.

[2]-بن يونس ابراهيم صالح بن يونس، تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم برنو، مرجع سابق، ص ص91-92.

[3]- شمس، ادم كردي ، مرجع سابق ، ص53.

إليها من الصحراء الكبرى البربر والعرب، لاسيما بعد الفتح الإسلامي لمصر وشمال أفريقيا في القرن السابع الميلادي.[1]

نستنتج مما سبق أن منطقة حوض بحيرة تشاد لها ميزة خاصة جعلت كثيراً من الشعوب المهاجرة تنجذب إليها نظراً لموقعها الجغرافي والاستراتيجي في العصور القديمة ، وذلك من كلاً الاتجاهين الشرقي والشمالي. ومن الأراضي المحيطة بها كذلك .

بداية الاتجاه الشرقي للهجرة:-

شهد البحر الأحمر قديماً كثرة تنقل السفن التجارية العربية على الساحل الشرقي من أفريقيا ، الأمر الذي جعل الرحالة الإغريقي (perisrs) صاحب كتاب الكشاف البحري في القرن الأول الميلادي، ينوه بتلك الصلات القوية التي وصلت إلى مستوى التزاوج والاختلاط العرقي ، وظهور عنصر هجين -عربي أفريقي- منذ فجر التاريخ ، كما أثبتت الدراسات اللاحقة أن كثيراً من القبائل العربية عبرت باب المندب باليمن إلى شرق أفريقيا ، ثم عبرت القارة على طول خطوط العرض حتى استقرت في بلاد اليوربا غربي نيجيريا ، وتوغلت جنوباً إلى بحر العرب والمحيط الهندي شرقاً.[2]

و مما يستدعي الانتباه في الروايات التي تعزز الأسر الأولى في بلدان السودان الأوسط والغربي، إلى أن مهاجرين قدموا من اليمن قبل ظهور الإسلام.[3]

---

[1]- منصور ، أحمد صبحي ، مقدمة ابن خلدون ، دراسة أصولية تاريخية ، مركز ابن خلدون ، دار الأمين للدراسات الإنمائية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1998م .

[2]- يونس، محمد المبروك، تاريخ التطور السياسي للعلاقات العربية الأفريقية ، طرابلس ، 1952- 1977م ، 1986 م ص13.

[3]-بن يونس ، ابراهيم صالح ، مرجع سابق، ص92.

وتؤكد الروايات الشعبية أن الساويين جاؤوا من اليمن في زمن نبي الله يونس عليه السلام في حدود بداية الالفية الثالثة قبل الميلاد ، ويحدثنا ابراهيم علي طرخان قائلا : (أن العرب وصلوا منطقة تشاد عن طريق النيل من جهة الشرق).[1]

ونخلص من ذلك إلى أن الشعب الساوى قدم عن طريق وادي النيل من جهة الشرق ، دون أن ننسى أو نتجاهل الاتجاه الشمالي لهجرة هذه الشعوب الساوية الباحثة عن مصادر حياة أفضل لها مما كانت فيه.

الاتجاه الشمالي للهجرات البشرية:-

منذ قديم الزمان لم تشكل الصحراء الكبرى عائقاً دون التواصل ، بل حدثت عدة محاولات لاختراقها، حيث تمكنت مجموعة من شباب قبائل النسامونيين التي كانت تسكن حول خليج سرت من عبور الصحراء والوصول إلى نهر النيجر ، وقد أثبت المؤرخ هيردودت مسار هذه المجموعة ، وكانت الصحراء الكبرى هذه جسراً لتوطيد الصلات البشرية بين الشمال ومناطق الجنوب الصحراوي ، وكان البحر الأحمر عبر فترات التاريخ المختلفة طريقاً تجارياً هاماً يربط ما بين بلاد شرق أفريقيا وشبه الجزيرة العربية وجنوب آسيا وبلاد حوض البحر الأبيض المتوسط.[2]

ولم يتجاوز حكم القرطاجيين والرومان جنوب الصحراء الكبرى ، إلا أنهم كانوا على تواصل مع بلاد جنوب الصحراء ، وبذلك فإن عالمي حوض البحر الأبيض المتوسط والسودان جنوب الصحراء كانا على اتصال مباشر في العصور القديمة ويرجح ذلك أن حجم مدينة لبدة الأثرية

---

[1]- طرخان، ابراهيم علي، مرجع سابق، ص20.
[2]- يونس ، محمد المبروك ، مرجع سابق ، ص 15.

مثلاً حيث مكنها رخاؤها من أن تكون بداية للطرق التجارية عبر الصحراء إلى بلاد السودان عن طريق فزان ، وتجار قرطاجة يتوافدون للتجارة مع سكان تبستي.[1]

ويتضح لنا مما سبق أن هناك اتصالات مابين الشمال الأفريقي ومنطقة السودان الأوسطى منذ القديم، ولم تكن هذه الصحراء عائقاً أو سداً منيعاً يمنع تواصل الشعوب، بل ساعدت كثيراً على نقل البضائع من الجنوب إلى الشمال والعكس صحيح في ذلك الزمن.

و كانت الحملات المصرية تسلك الطرق الممتدة عبر البر على طول وادي النيل ، ولا شك أن تلك الطرق كانت آنذاك دروباً صحراوية حيث لعبت دوراً مهماً في نقل البضائع عبر ما يسمى بالواحات التي كانت تقطعه الحمير إلى مصر ناقلة البخور والأبانوس وأنواع خاصة من الزيوت وجلود الفهود والعاج وريش النعام.[2]

ومن أهم تلك الطرق قديماً وحديثاً التي كانت تربط بين الجنوب والشمال أي بين بلاد حوض النيل وبلاد حوض البحر المتوسط وبين أقاليم غرب وجنوب أفريقيا القديمة إلى عهد قريب كانت حيث منطقة حوض بحيرة تشاد بشمال أفريقيا ومصر والحجاز وشرق أفريقيا ، ترتبط بطرق تسير عليها القوافل التجارية ومن هذه الطرق :-

أولاً : طريق طرابلس فزان بلماء بحيرة تشاد.

ثانياً : طريق برقة الكفرة بركو بحيرة تشاد.

ثالثاً : طريق الجغبوب الكفرة فزان وداي.

---

[1]- نفس المرجع ، ص 16.

[2]- اليونسكو: موسوعة تاريخ افريقيا العام ، اعداد اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ افريقيا ، ج2 ، حضارات افريقيا القديمة ، اشراف ج، مختار، جين ، افريك ، باريس ، 1985 ، ص239 .

رابعاً :طريق القيروان غدامس غات بلماء بحيرة تشاد.

خامساً : طريق درب الأربعين القاهرة الفاشر وداي بحيرة تشاد.

سادساً : طريق مراكش ولاية تمبكتو نيامي زندر بحيرة تشاد.

سابعاً : طريق دارفور سنار سواكن مكة وبالعكس.[1]

ثامناً : طريق الواحات الأكثر أهمية وهي الواقعة غربي وادي النيل والتي تربط سلسلة الواحات الليبية بواحة سليمة والأودية المنخفضة المؤدية إلى إنيديتبستيوكردفان ودارفور وبحيرة تشاد.[2]

وصفوة القول أن هذه هي أهم طرق هجرة الشعوب الساوية القديمة نحو بحيرة تشاد، ولها اتجاهين رئيسيين هما الشمال والشرق.

إن من أهم القبائل التي سكنت منطقة كانم وحول حوض بحيرة تشاد هي قبائل الساو ، وهي أقدم من ورد ذكرها في المصادر والمراجع التاريخية التي كتبت عن تاريخ المنطقة ، ولكن الباحثين لم يتوصلوا بعد إلى الأصول التي تعود إليها قبائل الساو.

إذ يحدثنا ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان) عن حاضرتهم وعن بلادهم فيقول: ((كوار ناحية واسعة جنوب فزان بها مدن كثيرة فيها قصر أم عيسى ، وأبو البلماء ، وأكبر مدنه أبو

---

[1]- تنقو، صالح أحمد ، أضواء على تاريخ السودان من داكار إلى بورتسودان، شركة مطابع السودان،للعملة المحدودة ، الخرطوم ، 2011 م ، ص 198.

[2]- اليونسكو، موسوعة تاريخ افريقيا العام، مرجع سابق، ص239.

البلماء وألوان أهلها صفر ، يلبسون ثياب الصوف ، وفي بلادهم أسواق ومياه جارية ونخيل كثير، ولهم سلطان في طاعة (ملك الزغاوة))[1] وإن هذه الكوار تقع شمال بحيرة تشاد.[2]

إن موطن الساو هو الكوار حسب ما جاء في كتاب ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ومن ثم هاجروا إلى بحيرة تشاد.

ويروى لنا التاريخ أن شعوب الساو كانت تسكن خلال الالفية السابعة قبل الميلاد في البلماء الكوار ، ثم أقاموا جنوب بحيرة تشاد بين (الكومادوجويوبية) وشاري في القرن العاشر قبل الميلاد ، وأتت جماعة أخرى عن طريق واحة الكفرة وفايا ، وماو ، وموسورو ، وبحر الغزال التشادي وغلبوا على أمرهم في منطقة الفترى.[3] فتركوا أماكنهم في زمن غير محدد ، ليقيموا في جنوب تشاد ، وكان هؤلاء المهاجرين سود اللون طوال القامة (لعلهم من سكان وادي النيل) ومنهم بيض اللون يدعون الساويون ، وخلفهم في الهجرة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر قبل الميلاد ، قوم قيل أنهم أتوا من خيبر شمال مكة.ويذكر بالمر (palmer) أن الساو هم سكان المنطقة الشمالية من بحيرة تشاد ، وقد رحلوا إلى كانم من منطقة فزان جنوب ليبيا.[4]

ويحدد المؤرخ أرفوي تاريخ هجرتهم إلى المنطقة بحوالي القرن السادس الميلادي، أو قبيل دخول الإسلام إلى إقليم غرب أفريقيا وانتشروا في بادئ الأمر على الضفة الشرقية الشمالية لبحيرة تشاد، ثم سيطروا على منطقة السفانا الممتدة شمالاً، واستقروا هناك أخيراً في الجزء الغربي للبحيرة، وذلك نظراً لتوفر المراعي الطبيعية والسهول المنتشرة الصالحة لتربية المواشي وهي

---

[1]- الدكو، فضل كلود، مرجع سابق ، ص 54.

[2]- أيوب ، محمد صالح ، الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق الترجمي في دار وداي- تشاد، (1853-1917م)، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية ، ط1 ، طرابلس ، 2001 م ، ص 40.

[3]- بيير ، جاماش ، تاريخ أفريقيا الاستوائية الفرنسية ، تعريب عمر طلعت زهران ، المطبعة النارويقة الحديثة القاهرة ، 1950م ، ص 22.

[4]- بيير جاماش ، مرجع سابق ، ص 22.

الحرفة الأساسية التي كانوا يعتمدون عليها، إذ تناسب ظروفهم كشعب قادم من الصحراء وذلك في الحل والترحال، ولأنهم يملكون كثيراً من القطعان خاصة الأبقار التي تحتاج دائماً إلى كمية كبيرة من الأعشاب ومياه الشرب ، لأن الأبقار هذه لا تتحمل العطش والجوع أكثر من ثلاث أيام متتالية خاصة في الصيف، بعكس الإبل، ولأن المنطقة حارة ذات مناخ جاف صيفاً.[1]

ويرى الباحثون أن الشعوب التي عاشت حول حوض بحيرة تشاد تتألف من عناصر متباينة ، أخذت أسماءها إما من عناصرها القديمة أو من نفس المناطق الجغرافية التي كانت سكنتها حول هذا الإقليم ، مثل جماعات الكانمبو في كانم ، والباقرمي في إقليم باقرمي و الوداي حول إقليم وداي ، ثم بعد ذلك حصل اختلاط بزنوج الجنوب، وهؤلاء بدورهم امتزجوا بجماعات من التيدا أو التبو والفولاني والعرب والذين يتحدثون عدة لهجات.[2]

وعلى هذا الأساس فقد انتشرت مجموعات عديدة حول حوض بحيرة تشاد واستقرت هناك وامتزجت بعضها ببعض ، ووصلت إليها اعداد كبيرة جديدة من الكوشيين خلال القرن الرابع الميلادي ، كما جاءت منهم هجرات منذ الأزمة القديمة وذلك علي أثر الفتح الأكسومي لبلاد كوش ، وهناك الاعداد الغفيرة من قبائل البربر الصحراوية التي نزلت من ناحية الشمال ، وأن هؤلاء استطاعوا التحكم في وداي شرق تشاد ، وازداد اختلاطهم واندماجهم بالسكان المحليين ، علي أن سيل الهجرات وأيضاً الغزوات لم ينقطع من ناحية الشمال ومن ناحية حوض النيل والشرق ، وظهر نتيجة هذا الخلط الحاصل من اندماج المهاجرين للمنطقة من البيض ، البربر والعرب ، وكذلك الفلانين ضعف الصفات الزنجية خاصة في اللون ، و هناك مخطوط محلي

---

[1]- أيوب ، محمد صالح ، مرجع سابق ، ص 41.
[2]- أيوب ، محمد صالح ، مرجع سابق ، ص 38.

لعبد الحق الترجمي يذكر فيه أن منطقة دار وداي شرقي تشاد ، شهدت نفس الهجرات والتجمعات السكانية المتباينة السابقة ، لكنه يحدد الأصول العرقية والمكانية لسكان وداي المحليين فيقول : أعلم أن قبائل هذه البلاد أصلهم من قبائل النوبة ، ولهم قاعدة تقول بأن كل قبيلة يكون في أول اسمها (كاف) هي من أصل المملكة قديماً (مملكة وداي) مثل كريبي ، كشمري .....الخ ، وأن كل قبيلة يكون أول اسمها (ميما) من رعايا المملكة مثل ميمة، مسمجةمسلاتة، موبي ..... الخ . وأن كل قبيلة لا يوجد في اسمها أحد الحرفين المتقدمين تكون دخيلة في هذا البلد غالباً: مثل داجو، فلاتة، بلالة، جلابة، فزان... الخ.[1]

وكذلك هنالك مخطوط أخر قديم لابن التونسي أكد فيه ربط أصل جماعات وداي بلغتهم، فقال: (إن لغتهم فيها كافات كثيرة، ومن العجب أنهم يسمون الله (كلَلَك) والولد الصغير (كلك) والعجوز (مجوكلك) وللرجل الصالح (كرك) ، وأكثر اسمائهم تنتهي بالكاف غالباً كما تبدأ بها ، ويشير بعض الكتَّاب إلى أن أهل الوداي أنفسهم يشتهرون بأن لغتهم السائدة في هذه المنطقة لغة مميزة ، ومن أبرز قبائلهم القديمة هي: الكودو ، أبوسنون ، أولاد جمعة ، المدبا ، كما هو الحال في وداي وحول حوض بحيرة تشاد عموماً برزت جماعات جديدة أخرى مثل الشعب الساوى الذي أقام مملكة في القرن السادس الميلادي واستمرت حتى القرن التاسع الميلادي.[2]

أما عن الأحوال الاجتماعية لشعب الساو، فآراء العلماء تتفق على أنهم شعوب مهاجرة إلى منطقة بحيرة تشاد، ولكنها تختلف في تحديد جهة قدومهم، هل هم من الشرق أم الشمال، إذ يقول الرحالة " بأرث " أن الساو أحد أقسام الفولانيين، وهم السكان الأصليون لمعظم الأقليم الشمالي

---

[1]- نفس المرجع ، ص ص 39-40.

[2]- أيوب، محمد صالح ، مرجع سابق ، ص ص 38-39.

لتبستي، وبين نهر شاري جنوب بحيرة تشاد، وبداية مناطقهم تبدأ من المنطقة التي عرفها العرب باسم (ودان) بينما يرى " أروفو " أن الساو هم العماليق أنفسهم وأنهم جاؤوا أصلاً من فزان على شكل هجرات مكثفة من قبل مجموعات البدو والبيض وهم من أصل بربري قدموا من فزان، وساعدتهم الظروف على تكوين (دولة) في القرن التاسع الميلادي، ومجموعات أخرى يمكن أن تكون من اليمن.[1]

ويرى العالم الفرنسي لوبييف أن أصل الشعب الساوى يعود إلى سلالة الهكسوس ، على أساس التشابه في الخلقة ، وفي الدور الذي قام به هؤلاء في قلب قارة أفريقيا وأولئك بمصر ، وذلك من أجل اعتمادهم الكلي على الخيول في العملية الحربية مع الأعداء واستعمالهم الحراب الطويلة والسهام الراشقة ، والعربة التي تربط خلف الحصان ، ليقف عليها الفرسان أثناء المعركة ويرشقون بحرابهم بسرعة فائقة والدقة في إصابة العدو ، ويشاركه في الأخذ بهذا الرأي دافيدسون وقد أورد تحليلاً طويلاً في كتابه: (أفريقيا القديمة تكتشف من جديد) وكِلا الكاتبين لوبييف ودافيدسون من علماء الآثار اللذان يعتمدان على الحفريات والآثار القديمة المكتشفة.[2]

ولكن الأوصاف التي وردت في كتابات المؤرخين العرب المسلمين ترجح بأن الشعوب الساوية أقرب ما تكون إلي الشعوب التي عاشت حول نهر النيل ، وذلك على أساس التشابه في الصناعات والرسومات والمهارات الفردية والجماعية ، مثل الفخار والرسوم على جدران الكهوف والمغارات ، وكذلك على أحجار الجبال التي ينحتونها بمهارة ، والتي أظهرت كثيراً من صور الحيوانات المستأنسة مثل الثور والحصان والكباش التي عبدوها بصورة أساسية قبل الإسلام ،

---

[1]- نفس المرجع، ص ص 41-42.
[2]- الدكو ، فضل كلود ، مرجع سابق ، ص 53.

وفي كل ذلك يشبهون الفراعنة الذين برعوا في تلك الرسومات التي وجدت على جدران معابدهم ومقابرهم.

يمتاز الشعب الساوى بطول القامة ، كغيرهم من سكان وادي النيل وهذا ما جعلهم يشتهرون بالعمالقة، وأن أساطيرهم القديمة كانت تبالغ في إبراز صفة الضخامة عندهم بدرجة فوق الخيال، لذا لم يجدوا صعوبة في إخضاع من كان حولهم من بقية القبائل الأخرى التي كانت بالمنطقة لسلطانهم.[1]

ويبقي الشعب الساوى من الفلاحين والصيادين ، هم في الأصل إحدى أعظم حضارات قارة أفريقيا ، وإجادتهم لصناعة الفخار والخزف المعروفة لديهم منذ بداية الألفية الأولى قبل الميلاد تعرفهم باسم (أهل الطين).[2]

و تُظهر الإكتشافات الحديثة ، بتحديد الهياكل العظمية للأموات المدفونة في جرار كبيرة ، أن الشعب الساوى وإن لم يكن يشبه عمالقة الأساطير إلا أنهم من الرجال والنساء أقوياء البنية وكبيري الحجم ، وأن لغتهم وأسلوب حياتهم يجعلان منهم شعباً متميزاً ، فهم يعيشون في وديان لوغون (شاري) وقادمون ربما من الشرق الأوسط وهم منظمون في مدن كدول.

والنصوص العربية القديمة هي الأولى التي تذكر وجودهم، ويحدد الشيخ أنتاديوب أنه منذ أكثر من (2000 سنة قبل الميلاد) حافظ الشعب الساوى على علاقة دائمة مع المصريين.[3]

---

[1]- نفس المرجع ، ص ص 53-54.

[2]- تاريخ تشاد من عصر ما قبل التاريخ وحتى أيامنا هذه، منشورات jagar طبع بواسطة لوار اوفست تيتولية- سانت اتيان 2013م، ص16.

[3]- تاريخ تشاد من عصر ما قبل التاريخ ، مرجع سابق ، ص17.

على أنّ الأخبار المتعلقة بعظمة الساو وتفاحش أطوالهم كلها أسطورية لا تمت إلى الحقيقة بصلة، ولكن الأمر الذي يجب التسليم به فقط هو أن الشعب الساوى من أقوى الشعوب الأفريقية في تلك الفترة الزمنية من حيث الخلقة ، ومن ناحية الكثرة والقوة الجسدية لهؤلاء أيضاً ، فمن زار مدنهم ولاحظ ما خلفوه من المباني الكبيرة والأسوار التي أحاطوا بها مدنهم ، والأواني والقدور الفخارية الكبيرة من حيث الحجم والثقيلة من حيث الوزن، سَلّم لهم بهذا القدر من العظمة والقوة ، وأن أي زائر إذا زار هذه المناطق أي المواقع الأثرية يستطيع مشاهدة ما خلفه الشعب الساوى كشاهد عصر من الفنون التذكارية المختلفة بمدينة نفالا وقاوي وغيرها من مدنهم .[1] ومن خلال التنقيبات التي أجريت في بعض المواقع الأثرية لوحظ أن الأواني الفخارية ذات الأحجام الكبيرة كانت تستخدم لدفن موتاهم ، حيث وجد في تلك القدور بقايا عظام بالية لأحد موتاهم، وإلى جانبه شيء من حليته وزينته، وهذه العادة متبعة حتى الآن في بعض القبائل الوثنية التي تعيش جنوب (نيجيريا) والتي تسكن أعلى الجبال الجنوبية، وهي تحافظ على وثنيتها ولم تؤثر فيها دعوات المبشرين على الرغم من تكرارها.[2]

كما كانت تسكن في نفس المنطقة سابقاً قبيلة عرفت بإسم (لورارفة) أو(كونه) وكانت قبل ذلك تسكن في بلاد (كانم) ولكنها هاجرت إلي هذه البلاد، وخلال القرن العاشر الميلادي عبرت نهر (يوبية) ، وبعد فترة من الزمن هجرت هذه المنطقة إلي أرض (بنوي) بالتحديد إلي الشرق من نهر (بنوي) الشهير، وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر أصبحت قوية ، واشتهرت هذه القبيلة بإثارة الشغب والمشاكل أينما وصلت، حيث بدأت تغير على المدن والقرى المجاورة لهم مثل (كانو) و(زاريا) وغيرها، وفي القرن السابع عشر وقعت بينها وبين الكورنيين حرب عظيمة

---

[1]- بن يونس ، ابراهيم صالح ، مرجع سابق ، ص 104.
[2]- نفس المرجع ،ص 105.

بالعاصمة (غسرغمو)، والآن أكبر مدنهم (وكاري) وتعرف باسم (جكن) وهي فرع من قبائل الساو التي هاجرت إلي نيجيريا في فترات سابقة.[1]

إن ظاهرة دفن الموتى بداخل القدور أو الجرار لدي الشعب الساوى سواء كانت شرق البحيرة أو شمالها ، في بعض المواقع الأثرية التابعة لحضارة الساو ، وجدت أيضاً عند بعض شعوب البحر الأبيض المتوسط وهم الشعب الكنعاني _ الفينيقي ، إذ مارسوا ظاهرة دفن موتاهم في أواني فخارية جعلت قبوراً ، فهذا تشابه بينهما أي بين الحضارة الساوية بتشاد والكنعانية بالبحر المتوسط بفلسطين ولبنان وليبيا وتونس ، فهل كان هناك اتصال بين هاتين الحضارتين ؟ من خلال دراسة الباحث لآثار الشعوب الساوية وهو موضوع البحث ، وجد أن هناك آثار آبار خاصة في ضواحي مدينة أبشة شرق العاصمة أنجمينا.[2] يقال أنها كنعانية ، وتؤكد الروايات الشعبية وجود الحضارة الكنعانية بالمنطقة خاصة في الشمال الشرقي من البلاد. وقد عايش الباحث هذه المسألة ، فعندما كان في مرحلة الطفولة بالبادية كان يسمع كلمة كنعن متداولة بين الكبار ، خاصة وأن بعض المواقع الأثرية يطلق عليها اسم (كنعن) ولم يفهم هذا المعني إلا بعد انتقاله من البادية من أجل الدراسة ، فمن خلال المرحلة الدراسية عرف الباحث في هذه الدراسة معني كنعن ، وهم الشعب الكنعاني.

إذاً فالحضارة الكنعانية لها امتداد في أفريقيا ، خاصة وأنها وصلت إلي تشاد، لكن بأي طريق وفي أي زمن ، هذا متروك للبحث العلمي للإجابة عنه ، لأن الباحث لم يجد شيئاً بالخصوص في الكتب المصدرية التي تتحدث مباشرة عن الحضارة الكنعانية في الأراضي التشادية ، فإذا

---

[1]- بن يونس، ابراهيم صالح ، مرجع سابق ص 105-106.

[2]- تنقو/ صالح أحمد ، أضواء على تاريخ السودان من داكار إلى بورتسودان ، ج 1 ، شركة مطابع السودان للعملة ، الخرطوم ، 2011 م ، ص 81.

أقررنا بعدم وجود للحضارة الكنعانية فمن أين عرف أهل المنطقة باسم (أبوكنعان) . الحقيقة ومن خلال تتبع الباحث لهذه الحضارة نستطيع القول أن للكنعانيين آثار دالة على اتصالهم بالمنطقة حتى إن لم يرد ذكرهم في المصادر التاريخية ، فإن لهم وجود قاطع بتشاد ، لأن كلمة كنعان أو أبو كنعان متداولة حتى الآن خاصة في الساحل الشرقي الشمالي من البلاد –عند عرب (البادية).[1]

وتقول بعض المصادر العربية : إن الشعب الساوى لم يكن يسكن هذه المنطقة فحسب بل في المناطق السودانية والصحراء الوسطي ، وتقول هذه المصادر أيضاً أن العرب هم الذين لقبوهم بهذا الاسم (الساو) ، وأنهم يسكنون في منطقة (فزان) حوالي القرن السابع للميلاد ، وأن شعب (الكوتوكو) منحدر من بعض قبائل (الساو) غير أن (الكوتوكو) لا يرضون بهذا القول ، ولكنهم يقرون بوجود بعض السلالات ، وهذا واقع معاش لأن الباحث عندما زار مدينة (قاوي) الأثرية أجري العديد من المقابلات الشخصية المباشرة ، ووصل إلى نتيجة أن هؤلاء (الكوتوكو) لهم صلة وثيقة بالساو.

إن الساو شعب نشط جداً ، لكنه تبدو عليه العصبية الإقليمية القبلية ، حيث تسيطر على شعوره تماماً ، فلذا نراهم متفرقين إلى مدن صغيرة يحيط بكل واحدة منها سور محكم البنيان ثم يلاحظ أنه تحيط بكل مدينة صغيرة بعض القري الصغيرة التي تنتمي إلى أهل تلك المدينة الكبيرة .[2]وقيل أن اسم الساو قد أطلق في الأصل على سكان شرق السودان القديم وهم الذين نزحوا إلى نهر النيل وكونوا (طيبة) وكانوا أول من بناها ، والتي صارت فيما بعد عاصمة مصر ، ومنهم

---

[1]- أيوب ، محمد صالح ، مرجع سابق ، ص 42.

[2]- بن يونس ، ابراهيم صالح ، مرجع سابق ، ص 106.

من وقف ضد الرومان ، وجزء منهم نزح إلى شمال تشاد وكونوا مملكة حاربت كانم برنو كثيراً ، وقيل يطلق اسم الساو في تشاد على الناس القدامى وهم ثلاث فئات : ساو1 ، وساو2 ، وساو3 ، وتدل الآثار القديمة للوديان المنخفضة لشاري ولوغون وضفاف بحيرة تشاد إلى شعوب سود البشرة جاؤوا على شكل دفعات متتالية من الشمال قناصون ومن الشرق رماة سهام وصيادوا أسماك، وقد دعت هذه الشعوب جميعاً دون تمييز (بالساو).[1]

وينبغي لنا أن يكون إذا ما اعتمدنا على الدراسة العلمية في الشكل وفي الأثر الذي يعبر عنه بكلمة مورفو جيك على هذه الأشكال:-

ساو1: روابي غير مأهولة بالسكان.

ساو2: مرتفعات عالية تطل على السهول وتحيطها جدران مأهولة بالسكان أحياناً.

ساو3: مرتفعات أصغر شأناً من السابقة وليس لها جدار أي أنها غير مسورة وقديمة ومهجورة،

ساو 2: وهي تحتوي على السيراميك ، والمعادن (الحديد ، النحاس ، البرونز) والعظام ، والصوف، والعاج المشغول ، وعجينة الزجاج ، ومادة الحجر المصقول ، وتدل عليها كثرة القطع الصلصالية الجنائزية العريضة ، والأواني المنزلية ، وقطع النقود ذات الأحجام المختلفة ، وكذلك الغليون ، وموازين الصيد (الصفارات) والأجراس ، ومجسمات حيوانية وتماثيل صغيرة وأقنعة.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه القطع ذات الأقنعة والتماثيل من السيراميك والبرونز هي أعظم ما في هذه المكتشفات ، وعلى الرغم من غنى المادة المنسوبة إلى الساو والتنوع الكبير في الآثار المصنوعة من السيراميك فعند مقارنتها مع المكتشفات التي وجدت في حفريات إنيدي بركو،

[1]- تنقو، صالح أحمد ، مرجع سابق ، ص 84.

والجراب ، وميسورو ، اتضح الاختلاف الكبير بين المرحلتين ، والساو يعد أقوى الشعوب الأفريقية من حيث الانتشار ، أي الكثرة والمنعة (القوة الجسمانية) [1]

فمن زار مدنهم وشاهد ما خلفوه من المباني العالية الضخمة والأسوار التي أحاطوا بها مدنهم عرف ذلك بنفسه، ومن الملاحظ هنا أنه في منطقة دار وداي يشار إلى الآثار التي تركها الساو سواء أكانت فخارية أم آباراً باقية في وسط الصخور بأنها من بقايا الكنعانيين.

ومن هنا للباحث تعليق حول ظاهرة حضارة الكنعانيين في تشاد ، هل فعلاً وصلت الحضارة الكنعانية إلى تشاد؟

الجواب: نعم وصلت الحضارة الكنعانية للمنطقة ، والدليل على ذلك كما سبق وتم الإشارة إليه في البادية عندما كنت في المرحلة المبكرة من طفولتي أسمع كلمة كنعن كما يقال: فلان كنعن أي إذا رحل ولم يترك ورائه أثراً يذكر به في الوسط الاجتماعي ، ومع ذلك لا أفهم هذا المعنى ، وما المقصود منه إلا بعد المرحلة الدراسية، وقرأت تاريخ الوطن العربي القديم،من خلال ذلك عرفت معنى كنعان أو كنعن عندنا في البادية...!

إذاً كيف عرف هؤلاء البدو الرحل القراءة والكتابة ومعظمهم لا يعرفها إن لم تكن الحضارة الكنعانية وصلت إلى تشاد ، وأن الأدلة على ذلك من طرف أهل البادية (العرب الرحل بتشاد) خاصة في الشمال الشرقي من البلاد ، تدل على وجود الحضارة الكنعانية ، وهي البقايا الأثرية ، خاصة ما يعرف (ببقايا الفخار) أوما يعرف عندنا هناك (بالشقف الفخارية القديمة) ذات اللون الأسود، وهذه شاهدتها بنفسي في الأماكن خاصة باطح الجبال أي في أسفل الجبال وأحياناً في وسط الجبال في مكان يكون مستوي الأرضية.[2]

---

[1]– تنقو / صالح أحمد ، مرجع سابق ، ص ص 84-85.

[2]- محمد صالح أيوب ، مرجع سابق ، ص 43.

ويذكر بعض الكتَّاب أن قبائل الكوتوكو الحالية هي من بقايا الساو ، غير أن هذه القبائل لا تقر هذا الرأي للباحثين الفرنسيين ، لكن رأي الباحث في هذا الخصوص عكس ذلك ، حيث أجرى بعض المقابلات الشخصية المباشرة ، ومن بين المقابلات كانت لى مقابلة مع سلطان مدينة (قاوي) حيث أكد أن قبائل الكوتوكو لها صلة وثيقة بالساو أي تعتبر نفسها من الساو ، وأن قبائل الكوتوكو محافظة على حضارة الساو والتي عرفت بالحضارة (الفخارية) لأن نساء الكوتوكو حتى الآن يقمن بصناعة الفخار (الجِرار) بمختلف أنواعها وهي صناعة يدوية حتى هذه اللحظة لم تدخل عليها أية آلة صناعية حديثة. [1]

أقام الساو مملكة في القرن السادس الميلادي واستمرت هذه المملكة حتى القرن الثامن والتاسع الميلاديين ، حين أصبحت جزءاً من إمبراطورية كانم الكبرى ، وكانت حاضرة مملكة الساو هذه هي مدينة (البلماء) في إقليم كوار شمال بحيرة تشاد ، وكانت هذه المملكة خاضعة في تلك الفترة لملك (الزغاوة) في إقليم كانم الشمالي. [2]

ومن خلال دراسة الباحث لهذه الحضارة لاحظ أن معظم المراجع والمصادر التي تناولت حضارة الشعب الساوى ، تتناول الجانب التاريخي أكثر ، من الجانب الأثري ، والسبب في ذلك يرجع إلى الدول التي نشأت فيها حضارة تلك الشعوب ، لأن هذه الدول لم تقم بدعم البعثات الأثرية العلمية للبحث عن المخلفات الأثرية لهذه الحضارة الساوية ، سواء كانت محلية وطنية أو أجنبية ، عدا دولة تشاد التي أعلنت في السنوات الأخيرة أن المدن القديمة تعتبر مصلحة وطنية عامة محمية يجب المحافظة عليها ، أي المواقع التي لم يتم الكشف عنها أو إعادة الكشف على تلك التي كشفت سابقاً من جديد ، إلا أن الدولة حتى الآن لم تقدم الدعم اللازم ، وجدير بالذكر أن

---

[1]- الدراسات الميدانية ، مقابلة سلطان قاوي بتاريخ 2011/1/15 ، الساعة الخامسة بعد ظهر يوم الأحد.
[2]- الدكو ، د . فضل كلود ، مرجع سابق ، ص 54.

الشعوب التي كان لها دور في قيادة الإمبراطورية البرناوية ولها قوة ذات تأثير في اتخاذ القرارات الإدارية هي الشعوب الساوية ، الذين اشتهروا بالعمالقة .[1] ومارسوا ابتداء من القرن الحادي عشر نوعاً من القيادة والسلطة على نهر شاري ، وربما على الأرض الواقعة غربه أيضاً.[2]

إن مناطق نفوذ الشعب الساوى تضم أجزاءً كبيرة من أقصى شمال شرق دولة نيجيريا ابتداء من ميدوغري حتى حدود دولة الكاميرون غرباً للشواطئ الجنوبية لحوض بحيرة تشاد ، ومن منطقة مورا ، ومن جهة الشرق بحيرة الفتري ، وتقدر المساحة بـ(130) ألف كيلومتر مربع تقريباً ، وهي الآن موزعة بين ثلاث دول : نيجيريا ، والكاميرون ، وتشاد.

ويحدثنا الشيخ ابراهيم صالح من خلال كتاب تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم – برنو قائلاً : " إن أغلبية الشعب الساوى يقطنون على شواطئ نهر (يوبية) وبمرور الزمن بنوا لأنفسهم مدنا عديدة.... داخل الحدود الكاميرونية مثل: كارنك لوغون ، ومكري ، وكسري ، وغلفي ، وافدي ، و كلها تقع جنوب بحيرة تشاد كما أن للساو مدناً كثيرة بالقرب من بلاد مندرة".[3] إذاً يتضح لنا مما سبق أن مناطق النفوذ للشعب الساوي قديماً واسعة جداً ، وهي الآن موزعة بين الدول المجاورة حالياً ، وذلك قبل رسم الحدود السياسية بعد مجيء الأوروبيين إلى القارة الأفريقية ، حيث لم يراعوا ظروف المجتمعات القديمة في التقسيمات الجغرافية ويظهر لنا ذلك في الوقت الحاضر بين ثلاث دول ، بينما كانت في الماضي مجتمع واحد ، ونجد أن منطقة البلماء والكوار من العواصم القديمة للشعب الساوى وهي الآن تقع في دولة النيجر ،

---

[1]- برشم ، نورين مناوي ، تشاد بين التحديات والآفاق ، ط 1 ، مطبعة الزحف الأخضر باب العزيزية، طرابلس ، 1995 م ، ص 64.

[2]- جاماش، بيير، مرجع سابق ، ص24-25.

[3]- jeanchapelle l art sao,musenatonal,fortlamv.opcp13

وبغض النظر عن ذلك نجد أن أبناء الشعب الساوى كثيراً ما يسكنون في منطقة حوض بحيرة تشاد ، نذكر منها: ماو ، والفتري، وميسورو ، وقاوي ، وفورت لامي ، ومليزي ، وماني....[1]

ومن الملاحظات الهامة أن الشعب الساوى يقيم غالباً على شواطئ نهر شاري واللوغون وذلك عند الخط المتوازي للنهرين وحتى حوض بحيرة تشاد.

وعلى حسب نتائج الكشوفات الحديثة ، فإن تاريخ الشعب الساوى يعود إلى القرن (13) قبل الميـلاد ، وقد كانوا في بادئ الأمر يعيشون بصورة مشتتة داخل مباني بسيطة هشة ، ويمتلكون كثيراً من قطعان الحيوانات الأليفة ، ولم تظهر الفلاحة في أوساطهم إلا بعد عدة قرون ، ففي القرن التاسع الميلادي أخذت بعض قبائل الساو تغادر تلك المباني الضعيفة لاستبدالها بمدن محصنة ومتباينة عن بعضها البعض.[2] وذلك نتيجة لمواجهة بعض الأخطار التي تسببها الفيضانات الدورية في المناطق الساحلية القريبة من البحيرة وضفاف النهرين–شاري ولوغون.

أما في الفترة التي توافق ما يسميه بعض الباحثين قمة المجد لشعب الساو ما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر ميلادي ، حيث كانت كل مدينة تملك تنظيمها الخاص بها والبعض الآخر منها مثل: افدي ، مكري ، غلفي ، وولكي ، فقد كانت مدناً ذات تنظيم تام في ذلك الوقت ، وكان التنظيم السياسي لشعب الساو في معظم الأوقات في تغيير مستمر ونزاعات داخلية بين العديد من المدن حيث تناوبت على إخضاع بعضها البعض مما نتج عن ذلك هجرات داخلية.[3]

وحسب الروايات الشفوية والدراسات المكانية ، فإن الساو قد انتشروا في مساحات شاسعة من الأراضي ، فقد وجدت آثارهم في كانووزنيدير ، وأبار محفورة بين تانووأغاديس ، وحجر ساو

---

[1]- بن يونس / ابراهيم صالح ، مرجع سابق ، ص 108-109.

[2]- نقلا من أبكر عبد المجيد ، محاضرة علمية بعنوان (حضارة الساو) بجامعة أنجمينا ، 1999/8/19م .

[3]- detrovbetanniemassovextrait de popvlaaion on 3juillet septembra,1951 0pc.p.448

بشمال مدينة أبشة، وبحر ساوبعين جلكة، والسكن الذي اكتشف داخل كتلة جادو، والذي يُقدر أنه يكفي لإعاشة ألاف الأشخاص، ومابيل ساو بالقرب من قروا بالكاميرون.[1]

فالرقعة الجغرافية للساو واسعة جداً، حيث انتشر نفوذ الساو في العديد من المناطق، تقدر عموماً من كان ووتانوو أغاديس وجراب وبحر الغزال وبحيرة الفتري وازاوبايا ومنجقة وبيسو وغير ذلك.

ففي هذه الرقعة عاش ومارس الساو نفوذهم ، والذي بدأت عليه العصبية الإقليمية أو اتباع نظام القبيلة ، مما جعله يعيش في مدن صغيرة محاطة بالأسوار المحكمة ، حيث يحيط بكل مدينة عدد من القرى الصغيرة التابعة لها ، وعلى رأس كل مدينة سلطانها ولغتها الخاصة أو اللهجة الخاصة بها. وهذا يشير إلى أنهم كانوا يطبقون النظام الملكي ، وأنه لا تجمعهم رابطة سياسية موحدة.وقيل أن الساو هم السكان الأصليون لمنطقة حوض بحيرة تشاد ، ويقال أن رقعة دولتهم قد امتدت من الشمال حتى جبال تبستي ، ومن الشرق حتى وداي ، ومن الناحية الجنوبية شملت بلاد المندرة بالكاميرون ، وفي الغرب شملت كل من نيجيريا والنيجر ، وقد تم حصر (803) موقعا أثرياً لحضارة الساو، منها (639) تم حصرها في تشاد.[2]

---

[1]- عثمان / احمد عثمان، مرجع سابق ، ص 48.

[2]- يوسف ، عبد الرحمن عيسى ، جذور العلاقات التاريخية التشادية السودانية في انهيار مملكة مروي إلى قيام دولة الساو في حوض بحيرة تشاد من (350-700 م) دكتوراه مقدمة إلى جامعة افريقيا العالمية (غير منشورة) 2011 م ، ص 138.

المبحث الثاني

الساويون في حوض بحيرة تشاد

عرف غرب أفريقيا شعوباً قوية أخرى غير الماندقو ، وسنغاي ، نشأت على أراضيها وبسطت نفوذها بطموح واسع ، ومن ضمن هذه الشعوب القوية التي أنشأت حضارة السودان الأوسطية (شعوب الساو) وقد ذهب بعض العلماء وخاصة علماء الآثار ، إلى القول بأن هؤلاء (الساو) ليسوا من شعوب القارة أي أفريقيا ، وذلك استناداً على المخلفات الباهرة التي قاموا بإنجازها والتي تعد خارج القدرات الأفريقية .[1]وأن الحفريات التي تناولت حضارة هؤلاء شملت المناطق المتاخمة لحوض بحيرة تشاد ، ولقد بنى هؤلاء العديد من المدن على مشارف المواقع التي تتوافر فيها المياه على مدار السنة وتم حصر هذه المدن التابعة للشعب الساوى في كل من الكاميرون ونيجيريا وتشاد وتقدر بحوالي (703) موقعاً أثرياً يعود إلى حضارة الساو[2] ، منها (639) موقعاً تم حصرها في تشاد ومن ضمن المواقع التي نقبت من قبل جان بول لبييف (LEBEUF) موقع (مدقا) في شمال مدينة أنجمينا ، وهي في موقعها الفلكي تقع على ارتفاع 12 ، 45 في خط العرض الشمالي وعلى 15 في خط الطول الشرقي وسكن هذا الموقع الشعوب الساوية.

ويقال أن تأسيس هذه المدينة كان حوالي 415 قبل الميلاد وظلت المنطقة مسكونة حتى القرن الخامس[3] الميلادي ، وشهدت مدينة مدقا هجرات بشرية من المناطق المجاورة لها مثل قيمازوي ، وتاقو ، وأوليو ، وأن المناطق التي ذكرت تعد من المواقع الأثرية التي سكنتها الشعوب الساوية قديماً.

وإذ نجد مدى أهمية المجاري المائية الموجودة في قيام المجتمعات المتحضرة ، ونلاحظ أنها دائما تنشأ حول هذه الأنهار في أغلب الحضارات الإنسانية القديمة في العالم القديم ، لذلك

---

[1]- يوسف ،عبد الرحمن عيسى ، مرجع سابق ، ص137.

[2]- عثمان ، أحمد عثمان ، أثر الهجرات البشرية في قيام حضارة شعب الساو بحوض بحيرة تشاد ، بحث الدراسات المعمقة في التاريخ والحضارة ، مقدم لجامعة الملك فيصل ، 2005م ، ص45.

[3]- يوسف ، عبد الرحمن عمر ، مرجع سابق ذكره.

يوضح دافيدسون بأن كل الحضارات السابقة قد نشأت في وديان الأنهار التي تتميز بالري الطبيعي والتربة المتجددة، لأن هذه الأنهار تعطي كل عام أرضاً جديدة صالحة للزراعة.

فقد أشارت الآثار إلى أن منطقة حوض بحيرة تشاد كانت في القرن السادس قبل الميلاد عامرة بجماعات من الصيادين والرعاة أصحاب القطعان الصغيرة من الحيوانات ، وكذلك بها جماعات من المزارعين ، وكما دلت على ذلك نتائج أبحاث مدينة (دايما). أما مدينة (مدقا) فقد عثر فيها على أدوات تعود إلى سنة (425) قبل الميلاد ، كما وجدت فيها أدوات مصنوعة من العظام تعود للقرن الثالث قبل الميلاد، وأمتلك فيها الحديد وتماثيل حيوانية صنعت من الطين المحروق عثر عليه في معقوف كبير من الماء يرجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد ، وتدل النتائج أن هاتين المدينتين قد عمرتا بالسكان قبل تلك الفترة ، وفي القرن الأول الميلادي سكن شعب الساو مدينة أم كنجو بالنيجر.[1]

وإذا نظرنا إلى الإقليم المعروف بين الأجزاء السفلية الجنوبية لشاري ولوغون، وشمال انفالا بنيجيريا نجد أن الساو قد أسسوا عدداً من المدن المسورة التي ضمت صناعات من الأدوات الفخارية بدرجة محدودة.

وأما مدينة (ماكاري) فإنها قد بنيت في موقع مرتفع يصل إلى حوالي (83) متر، في شمال شرق ملتقى نهر شاري ولوغون على مسافة مئات من الامتار من الماء، وذلك خوفاً من الفيضانات، حيث كانت في ضفة مستوية ، وفي الشمال سهل غريني الذي يمتد إلى جنوب بحيرة تشاد.

وتوجد هناك آثار لشعب الساو في شمال البحيرة ، خاصة في مدن البلماء مثل تانخيري وفاشي وذلك في القرن السابع الميلادي ، وحين تم تأسيس مملكة كانم سكن الشعب الساوى ضواحي

[1]- دافيدسون / باسيل ، مرجع سابق ، ص 16.

البحيرة بين نهر يوبية وشاري وشمال ملتقى شاري ولوغون ، فسكنوا مدينة (منطور) في حوالي القرن الثامن الميلادي ، وفي سنة 970م أسسوا مدينة (ماسا) التي ضمت عناصر متنوعة من السكان ، خاصة من الصيادين أصحاب الأقواس ، وقد أظهرت الكشوفات التي أجريت في عام 1962م على وجود حضارات قديمة ، قامت حول حوض بحيرة تشاد منذ زمن بعيد ، إذ يقول مؤلف تاريخ أفريقيا فاسليف : إن الأقاليم المتاخمة لبحيرة تشاد كانت لها حضارات عريقة في القديم ، تدل على أنها آهلة بأقوام يشتغلون بالزراعة ، ثم عرفوا الطين واتخذوا منه الاواني الفخارية والآلات والأسلحة ، وصنعوا منها تماثيل من الطين المحروق ، اتسمت بأسلوبها الفني المميز ، وأخذت من هذه الحضارة في كانم القديمة شعـوب متعددة ومن ضمن هذه الشعـوب الشعب الساوى ، الذي يرجع إليه بناء المدن المحاطة بالأسوار والواقعة بين مجرى شاري الأدنى ولوغون الغربي وبحيرة تشاد شمالاً.[1]

ومهما يكن من أمر ، فإن تطور الحياة الاجتماعية حول حوض بحيرة تشاد يبدأ بحضارة الشعب الساوى ، وكان هذا الشعب قد برز في صناعة الفنون المختلفة وظلت حضارته قائمة إلى أن ظهرت مملكة كانم برنو ، وضمت أجزاءً كبيرة من مدن الساو ، وأصبحت تحت قيادة الإمبراطورية الكانمية البرناوية. وفي هذا الخصوص يقول الأستاذ / عبد الرحمن زكي: كان يسكن شعب الساو في بلماء الكوار ثم أقاموا جنوب بحيرة تشاد بين الكومادو جويوبية والشاري في القرن العاشر الميلادي، وقال أيضاً عرفوا باسم (الكوتوكو) منذ القرن الخامس عشر، وعندما غادر الكانريون بلاد كانم حوالي مائة سنة منذ قيامهم في منطقة كانم بدأوا في إنشاء مدنهم الواحدة تلو الأخرى بالقرب من نهر يوبية وعندما دخل هؤلاء بلاد برنو نشيت بينهم وبين الساو

[1]- أيوب ، محمد صالح ، مجتمعات وسط أفريقيا بين الثقافة العربية والفرنكفونية ، منشورات مركز البحوث التاريخية والدراسات الأفريقية ، سبها ،1992م ، ص 5.

معارك عديدة ، خاصة بعدما بدأ هؤلاء يهاجمون مدنهم الواقعة على شواطئ نهر يوبية والتي تمثل مراكز القوة الأساسية لقبائل الساو الوثنية.[1]

وعندما قامت إمبراطورية كانم في مهدها الأول، كان الشعب الساوى آنذاك قوة لها خطرها على من حولها، كما كانت لها خطورتها على الدولة الناشئة، فعلى الرغم من خضوعهم لملوك كانم إلا أنهم كانوا كثيري الخروج عن طاعة الدولة الكانمية، بل أصبحوا السبب الأساسي والمباشر في وقف اتساع الدولة في عصورها الأولى، مما اضطر الأسرة الحاكمة من بني سيف إلى تغيير حاضرتهم (نجمي) الواقعة في الشرق الشمالي لبحيرة تشاد إلى غرب البحيرة واتخذوا لهم عاصمة جديدة عرفت باسم (بيرني) أي العاصمة (الحصينة).[2]

وحقاً يقال أن الساو في القرن الخامس عشر كادوا أن يستأصلوا ملوك بني سيف من الحكم ، ولم ينقذهم من هذا الخطر إلا جهود السلطان (علي غاجي زينمي) المعروف (بدنومامي) الذي ملك البلاد سنة (1472م).[3] والذي ترك في بداية حكمه الأمور لمجلس وزرائه ، إلا أنه عندما شعر بالمسؤولية وضع حد لنفوذ أولئك الوزراء وأهل المجلس وأشرف بنفسه على إدارة البلاد ، وعلى تصريف شؤون الدولة واتخذ هذه الخطوة عندما كان في مدينة (ودان) الواقعة في الشمال من بحيرة تشاد ، وأن هذه المدينة سكنها الشعب الساوى قبل ذلك ، وهي تعتبر أكبر مدينة في عهد السلطان (علي غاجي) ، وفي عام 1488م قام السلطان علي ببناء مدينة غسر غمو العاصمة البرناوية الشهيرة وكان في ذلك العهد على قبائل الساو ملك يقال له حداد من أقوى ملوكهم وأكثرهم نفوذاً إلا أن السلطان علي غاجي استطاع أن يقضي على نفوذه وأصبح تحت قيادة الإمبراطورية البرناوية ، وخلفه السلطان إدريس كتكرمابي وكان ذلك في عام 1504م–

---

[1]- بن يونس/ ابراهيم صالح ، مرجع سابق ، ص108.
[2]- الدكو / فضل كلود، مرجع سابق، ص55.
[3]- بن يونس / ابراهيم صالح ، مرجع سابق ، ص 108.

1526م والذي طالب في فترة ملكه بضم سبها عاصمة إقليم (فزان) الذي كان جزءًا من إمبراطورية برنو قبل (العثمانيين) من سلطان إسطنبول، لكن السلطان العثماني رفض وبعث إليه بالأسلحة النارية والعبيد الذين أطلق عليهم أهل برنو اسم العبيد (الترك).[1]

ويُعد هذا دليل على قوة الإمبراطورية البرناوية التي استطاعت أن تمد نفوذها خارجاً في أقصى الشمال من حدود الإمبراطورية ، وقاوى أيضاً بحملات شملت قبائل البلالة التي كانت تخيم بضواحي بلاد كانم أكثر من سبعة سنوات حتى أخضعهم لملكه في الفترة الأخيرة من هجماته ، كما غزا قبائل الساو الوثنية في جميع مناطقها ولم يتركهم حتى استسلموا له بعد حروب طويلة دارت بينهم وبينه وبين أسلافه الكورنيين وأخيراً دخلوا الإسلام.

وقد دلت الدراسات الحديثة بأن ، حوض بحيرة تشاد شهدت حضارات بشرية متطورة ثقافياً منذ آلاف السنين، ويمكن دراسة التراث الثقافي الذي خلفته هذه الحضارة من خلال الإنتاج الفني والمعماري الذي خلفه الشعب الساوى ، والذي ظل مثالا للعيان إلى اليوم ويبين مقدرة الإنسان في هذه المنطقة على التفاعل مع البيئة وتكوين كيانات قوية.[2]

وتعتبر منطقة حوض بحيرة تشاد مركزاً هاماً لالتقاء طرق القوافل التجارية المارة عبر أفريقيا ، مما جعلها مركز نشاط وحياة فضلاً عن أن المنطقة خصبة حيث اجتذبت إليها كثيراً من العناصر البشرية القوية يضاف إلى ذلك أن طبيعة المنطقة من حيث خلوها من العوائق الطبيعية كالصحراء والغابات أو المرتفعات أدت إلى تيسر النقل منها وإليها ، مما ساعد على استقرار كثيرٍ من المجموعات البشرية التي اشتغلت بالزراعة بجانب المجموعات التي استمرت على ممارسة الرعي ، ومن خلال هذه المجموعات انتشرت عدة قبائل حول شاطئ بحيرة تشاد

---

[1]- بن يونس ، ابراهيم صالح ، مرجع سابق ص 111.

[2]- حسن / حسين محمود محمد، سلسلة الأدب التشادي (4) ، الاسكندرية ، 2007م ، ص 11.

وامتزجت مع بعضها البعض ووصلت إليها أعدادٌ كبيرة من الكوشيين منذ الأزمنة القديمة ، كما جاءت هجرات منهم خلال القرن الرابع الميلادي ، وذلك على أثر الفتح الأكسومي لبلاد كوش ، وهناك جاءت أعداد كبيرة من البربر الصحراوية من ناحية الشمال ، بل حدث أن تحكم هؤلاء في وداي شرق تشاد ، ومن أبرز هذه القبائل هي قبائل الساو.[1] التي لها أثر حتى الآن بالمنطقة التي عرفت بحوض بحيرة تشاد قديماً وما حولها من المناطق المجاورة لها ، وقد أيد هذا الطرح دافيدسون ، إضافة إلى أن الرومان كان لهم معرفة بالأقاليم الاستوائية ، إلا أن هناك آراء تخالف ذلك ، منها أن الرومان الذين احتلوا جزءًا من شمال أفريقيا لم يطلعوا على الصحراء إلا من بعيد ، فقد تحدثت بعض النصوص العربية عن حروب دارت مع الرومان وقبائل الجرامنت ، حيث كان البدو يشكلون ملاذاً للمتمردين ضد الوجود الروماني وقد خلفت قبائل الجرامنت مدافن في شمال تشاد وجنوب ليبيا يوصف بأنها ضخمة.[2]

وهناك رأي آخر يقول أن القائد الروماني كرونيليوس باليوس قد شن هجوماً خاطفاً ضد الجرامنت ، وذلك في عام 19 ق. م ، وهكذا يؤكد لنا قوة الجرامنت وصلابتهم وكذلك عدم تمكن هؤلاء الرومان من اجتياز الصحراء جنوباً. وفي سنة 106 ميلادي حينما أنتصر الإمبراطور الروماني تراجان ، قدم في تقديمه احدى عشر حيواناً مفترساً كهدية له ، ومن الفيلة ووحيد القرن التي استوردت من جنوب الصحراء ، يمكن أن تكون من حوض بحيرة تشاد أو بحر الغزال التشادي أو من بحيرة النيجر أو من الصحراء الليبية ، وفي الفترة ما بين عامي 70–80 للميلاد انطلق القائد الروماني سيبتموس فلاكوس من فزان وسار طيلة ثلاثة أو أربعة أشهر في الصحراء ،

---

[1]- الدكو / فضل كلود، مرجع سابق، ص52.

[2]- كي زيربو ، جوزيف، تاريخ أفريقيا السوداء ، سلسلة دراسات أفريقية (10) ترجمة / عقيل الشيخ حسين ، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان مصراته ،2001م ، ص 139.

ويبدو أن الرومان حينما سيروا دوريات لهم خلال ثلاثة أو أربعة أشهر ، عادوا إلى قاعدتهم من حيث انطلقوا وأنهم لم يتجاوزوا تبيستي.[1]

وتبين لنا هذه المعلومات أن الرومان لم يتوغلوا إلى جنوب الصحراء الكبرى ، حيث منطقة حوض بحيرة تشاد ، وإن كانت هناك هجرات وصلت المنطقة فإنها تكون من قبل السكان الأصليين للشمال الأفريقي وجوف الصحراء.

سكن الشعب الساوى منذ قديم الزمان منطقة حوض بحيرة تشاد ، وتذكر المصادر أنه عندما كان الزغاوة والكانميون يسكنون في بلاد كانم شمال شرق البحيرة ، كانت تسكن في إقليم (برنو) الواقع على الشاطئ الغربي من البحيرة بعض القبائل الوثنيـة مثل قبـائل (البادي) وبره ، ومرغي، وغلاكه ، وهم إخوة لقبائل (الساو) القوية والتي تقع في الجنوب من البحيرة، وأخيراً أطلق على البلاد الواقعة فى الجنوب " البلاد (الكومادو جويوبية)" بين (غيدم) غربا وديكوه شرقاً ، بلاد (برنو) ولم تتجاوز حدودها الجنوبية منطقة (غيجا) وكان أول من أطلق على هذه البلاد هذا الاسم هم العرب، وأخيراً أصبحت (برنو) مستوطناً لكثير من الأمم والأجناس المختلفة الديانات والثقافات ، فإلى جانب (الكانوري) يوجد كثير من القبائل الأخرى ، وأما الساو فأكثرهم يسكنون على شواطئ نهر (يوبية) ، وبمرور الزمن بنو لأنفسهم مدناً عديدة ، مثل مدينة (يودمسك) وكيرك ، وناغو ، ونقالا مودو ، وسنفسية وكشا ، وجاور ، وسب ، وميتك ، ومشكل، وكل هذه المناطق داخلة في حكم (برنو) ، وكانت أكبر مدنهم (أم دفو) التي لا تبعد كثيراً من

[1]- نفس المرجع ، ص 146.

(ديكوه) ، هذا و للساو مدن كبرى داخل الحدود الكاميرونية مثل مدينة (كارنك لوغون ، وكسري، ويحالي، ومحالي).[1]

تعتبر المنطقة التي احتضنت الساو منطقة متنوعة البيئة ، فيها صحـراء ومجـاري مائية وغابات، ففي المناطق الصحراوية يعد الجمل الذي وجد فيها في تلك الفترة وحتى اليوم وسيلة مهمة جداً في النقل والتجارة بين مختلف المناطق ، وهو أيضاً في حد ذاته سلعة تجارية مهمة.[2]

كما عرف الساو برعاية الماشية والترحال إضافة إلى أن لهم خبرة في تربية الحيوانات المنزلية ، وحول المجاري المائية مارسوا الزراعة وعرفوها ، والتي تمثل مصدراً رئيسياً من مصادر العيش والتجارة، وقد دلت معلومات أثرية على أنهم كانوا يزاولونها منذ القرن الخامس قبل الميلاد ومن ناحية أخرى فقد مارس الساو صيد الحيوانات والأسماك.[3]

وقد عرف الساو مختلف أنواع الصناعة، ونلاحظ ذلك في المخلفات الأثرية التي تركوها ، ودرست في قسم التعدين بمختبر البحث للمتاحف بفرنسا التابع لوزارة الشؤون الثقافية، حيث حللت بعض المخلفات الأثرية التي منها أسورة وخواتم وبقايا تذويب الشموع وتماثيل وغيرها، وهي تصنع من مواد ومعادن مختلفة منها برونزية ونحاسية وحديدية إضافة إلى أنهم يمتلكون عملة نقدية مصنوعة من الطين المحروق.[4]

يعتبر الشعب الساوى من الفلاحين والصيادين وهم في الأصل إحدى أعظم الحضارات السوداء التي نشأت في ضفاف بحيرة تشاد ، وأشتهر بإجادتهم لصناعة الفخار والخزف ، وأن حضارتهم

---

[1]- أبو دمة ، عز الدين مكي، مملكة قاوي حضارة سبعة وعشرين قرنا، 600 قبل الميلاد ، مركز الصقر للطباعة والنشر ، أنجمينا ، 2012م ، ص 46.
[2]- عثمان ، أحمد عثمان ، مرجع سابق ص 52.
[3]- الدكو ، فضل كلود ، مرجع سابق ، ص 53.
[4]- عثمان ، أحمد عثمان ، مرجع سابق ، ص 54.

المعروفة منذ بداية الألفية الأولى قبل الميلاد تعرفهم باسم (أهل الطين)[1] ، وعلى ضفاف نهر لوغون وشاري تجتمع أمارات الكوتوكو تحت سلطة الملك، وبما أن هذه الدولة الوليدة شملت الممالك الصغيرة من كسري ، لوغون ، بيرمي ، غولقاي ، مارا ، عندما أسلمت البلاد في القرن التاسع عشر ، كان على مملكة الكوتوكو قبول سلطة كانم برنو ، علماً بأن الكاتوكو يعتبرون أحفاد للساو. [2]

وتتميز بحيرة تشاد منذ العصور الوسطى بموقعها الإستراتيجي الحساس الذي يربط بين الشمال والجنوب للقارة الأفريقية من جهة ، وغربها وشرقها من ناحية اخرى ، وبغض النظر عن قبائل الساو فإنه يوجد في تشاد مجموعة كبيرة من القبائل الحامية والسامية وعناصر أخرى لاتزال تثير لغزاً يستعصي حله ، ومن هذه المجموعات: مجموعة القبائل العربية وقبائل القرعان والزغاوة وغيرهم.[3]

وتميزت الشعوب الساوية بحوض بحيرة تشاد بصناعة الخزفيات ، في كل المناطق التي نشأت فيها مدنهم ، وهناك العديد من المواد الخزفية استعملت لطبخ الطعام ، وكذلك صنعت منه أكواب لشرب الماء ، وزخرفت بالألوان منها اللون الأبيض والأسود ، كما استخدم الطين لصناعة الجرار التي يدفن فيها الأموات ، فكما سبق الأشارة يدفن موتى الساو في جرار صنعت خصيصاً لوضع الأموات فيها ، وهي خشنة غير مزخرفة ، حيث يوضعون في شكل مقرفص ويوجهون إلى الشرق ، حيث شروق الشمس إيماناً منهم بقوة الشمس ، ونجد هذا قاسماً مشتركاً يشترك فيه

---

[1]- تاريخ تشاد القديم ، مرجع سابق ، ص 16.
[2]- نفس المرجع ، ص 31.
[3]- الماحي / عبد الرحمن عمر ، المجتمع التشادي في عهد الاحتلال الفرنسي ، (1918-1960 م) القاهرة ، 1997 م ، ص ص 23-24.

الساو والفراعنة والكنعانيون –الفينيقيون والمرويون ، من منظور عبادة الشمس الذي تمسكت به الشعوب الأفريقية القديمة من النيل إلى السنغال غرباً.

وهناك جرار أخرى صممت لحفظ الغلال ومياه الشرب ، عادة وهذه ما تكون مزخرفة ومخططة بخطوط متموجة ، والألوان الأكثر استعمالاً لتلوين المواد الخزفية هي اللون الأسود ، والأصفر ، والأحمر ، والأبيض ، والخطوط أحياناً تكون متشابكة تظهر فيها البراعة الهندسية والجمال ، وفي بعض الأواني تظهر خطوط غليظة وينعدم فيها الجمال الهندسي ، وهناك بعض الأدوات الخزفية صنعت خاصة للزينة وعادة ما تتميز هذه بالنعومة ، وهي تتمثل في خواتم وعقود وقرون.[1]

وإذ قامت الشعوب الساوية بصناعة التماثيل البشرية والحيوانية المختلفة من الخزف وألعاب الأطفال ، فإن هذه التماثيل ترمز لجوانب روحية لدى الشعب الساوى ، حيث أن التماثيل الصغيرة البشرية توضع بقرب المريض باعتباره عاجزاً عن الدفاع عن نفسه وقد وضعت هذه التماثيل أحياناً مع الميت مع بعض الأواني التي تستعمل لشرب الماء والأكل ويعتبر هذا تأثير واضح للحضارة النيلية الكوشية والفرعونية.[2]

وعلى كل حال ، فإن التاريخ المعروف حول تطور الحياة الاجتماعية حول حوض بحيرة تشاد ، يبدأ بحضارة الشعب الساوى الذي تمركز على نطاق واسع مما يعرف اليوم بحوض بحيرة تشاد ،

---

[1]- يوسف / عبد الرحمن عيسى ، جذور العلاقات التاريخية التشادية السودانية في انهيار مملكة مروي إلى قيام دولة الساو في حوض بحيرة تشاد من (350-700) رسالة دكتوراه مقدمة إلى جامعة أفريقيا العالمية (غير منشورة) ، 2011 م ص 146.

[2]- التواصل العربي الأفريقي قبل الإسلام وبعده ، مجلة قراءات أفريقية ، العدد السابع ، محرم ربيع أول 1432هـ/ مارس الخرطوم ، 2011م ، ص45.

وكان هذا الشعب قد برز في مجال الفنون وظلت حضارته قائمة إلى أن قامت مملكة كانم التي احتوت جزءً كبيراً منه.[1]

وقد دلت الحفريات الأثرية الحديثة التي قام بها العالمان الأثريان الفرنسيان ماسودو ولوبييف ، مابين عامي (1948–1963) على وجود صلات وثيقة بين سكان وادي النيل ومنطقة النيجر وحوض بحيرة تشاد.[2]

ومن أبرز خصائص حضارة الساو: هو بناء المدن ذات القلاع الحصينة ، إتقانها من صناعة المعادن من النحاس والحديد والبرونز ، فضلاً عن أعمال الفخار الجميل المتقن. ومن روائع فنونهم الصناعية، رؤوس الكباش التي يصنعونها من الفخار ورسوم صور الحيوانات ومشاهد الألعاب الرياضية.[3]

ويرجع تاريخ الآثار في تشاد إلى الألف السادس قبل الميلاد ونجد آثار ما قبل التاريخ في إندي تبستي فقد وجدت مجموعات من السيراميك ورسومات متعددة ومنحوتات بالبرونز والحديد ، أطول سلسلة تغطي (7000 عام) في الإنيدي اكتشفها (GBAILLOUD) وهي مرتبة في تسعة مراحل من الحقب، وتقابلها أنواع مختلفة من تربة الصلصال ديكور من الخطوط المتموجة تشبه (WAVVRLINE) على مشارف الخرطوم السودانية خطوط متموجة من العهد النيوليتسكي للشاهيناب وعاء مزين بنقوش (BORIDIEN) والكورسكي 3050 قبل الميلاد.[4]

---

[1]- أيوب / محمد صالح بحيرة تشاد وانتشار الثقافة العربية في وسط أفريقيا ، مجلة الثقافة العربية ، العدد الأول للسنة الرابعة عشر ، مطابع الثورة العربية ، بنغازي ، 1989 م، ص 55.

[2]- الدكو / فضل كلود ، مرجع سابق ، ص 54.

[3]- ديشان/ هوبير ، الدينات في أفريقيا السوداء ، ترجمة أحمد صادق حمدي ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1956م ، ص ص27-36.

[4]- تنقو، صالح أحمد ، مرجع سابق ، ص 57.

وقد أعطت الأعمال المنظمة والطويلة التي قام بها البروفيسور لوبروف في الوديان المنخفضة لنهر شاري وروافد لوغون نتائج مختلفة ، وذلك لوفرة وغزارة المعلومات في الفترة ما قبل التاريخ لهذه المنطقة ، وخاصة لضفاف بحيرة تشاد ، حيث تؤلف مجموعة خاصة وفريدة وتبدو أنها منفصلة عن الفترة ما قبل التاريخية للمناطق الصحراوية وسهل بوش (درة الكواكب) ، ويتطابق فن صناعة الجرار بين أنجمينا والخرطوم والقاهرة ، إلا أن في القاهرة يعملون منها الصغير ، ولا يوجد منها في الخرطوم ويوجد الصغير منها في أنجمينا أيضاً وصناعة الجرار أكثر إتقاناً وروعة حتى من الخرطوم.[1]

وفي الشمال الشرقي لتشاد اكتشف البروفيسور مونود في موردي سيراميك عليه نتوءات ضخمة الخطوط الأفقية تعود إلى النيوليتكي الأوسط وتقترب من الشكل العام للهوهو في الإنيدي ، وفي جراب بركو وفي أونيانقا الكبير. وعلى الطريق الأوسط لتبستي اكتشف العالم الأثري كوبانس (COPPENS) طبقات من السيراميك تعود إلى مراحل مختلفة ، بخطوط متموجة وهي أقدم سيراميك ، ووعاء من نفس الحقبة مرسوم عليه بالأحمر والأسود ، كذلك سيراميك رائع متميز بالاسطوانات المشغولة ، ويبدو أن الصلات بين السلسلتين السابقتين وبين ما اكتشفه العالم الأثري كورتين في منطقة فيالارجومورتشا وفي شرق بركو ضيقة جدا ً، فقد عثر بين مكتشفات البروفيسور كورتين سيراميك من العهد التنولنكي القديم شبه سيراميك ديلا بو الخرطوم.[2]

نستنتج مما سبق أن منطقة حوض بحيرة تشاد لها ميزة خاصة لجذب الشعوب المهاجرة بموقعها الاستراتيجي في العصور القديمة ، وذلك في الاتجاهين الشرقي والشمالي. ولذلك نجد أن الشعوب الساوية قد انتشرت حول حوض بحيرة تشاد وأقامت حضارات عديدة ومتنوعة ، وأن

---

[1]- تنقو / صالح أحمد ، مرجع سابق ، ص 58.

[2]- نفس المرجع، ص 57-58.

معظم معالم هذه الحضارة باقية رغم ظروف الزمن المختلفة التي مرت بها حضارة الساو حيث قاومت الظروف وبقيت شاهداً على مر العصور.

المبحث الثالث

تأسيس المدن الساوية على ضفاف بحيرة تشاد

عمرت منطقة حوض بحيرة تشاد بالسكان، ودلت الصور والرسومات على الجبال في إنيدي على وجود الرعاة أصحاب الخيل والبقر وغيرهم.[1] وتضم المواضع السكنية لشعب الساو أجزاءً كبيرةً من أقصى الشمال لدولة نيجيريا ابتداء من ميدوغري حتى حدود الكاميرون غرباً للشواطئ الجنوبية لبحيرة تشاد من منطقة مورا ومن جهة الشرق بحيرة الفتري ، وهي الآن موزعة بين ثلاثة دول ، وهي نيجيريا والكاميرون وتشاد من جانب الغرب بحوض البحيرة ، ومن جانب الشرق فلا تمثل حدودها بحيرة الفتري وإنما نجد أن الشعب الساوى له وجود في السودان ، كما أن للساو مدناً كثيرة بالقرب من بلاد مندرة بنيجيريا.[2]

يتضح لنا مما سبق أن المواضع السكنية للشعب الساوي قديماً واسعة جداً ، حيث انتشرت في عدة دول قبل فترة الاستعمار الأوروبي للقارة الأفريقية ورسم خريطة الحدود السياسية بين هذه الدول ، وبعد أن جاء المستعمر لم يراع في تقسيمه التركيبة الاجتماعية القديمة بين تلك الشعوب التي كانت ذات روابط أسرية وثيقة ، ويظهر لنا ذلك في الوقت الحاضر توزعهم بين ثلاث دول بينما كانت في السابق مجتمعاً واحداً ، كما نجد منطقة البلماء والكوار ومدينة البلاس من العواصم القديمة لشعب الساوى ، الآن تقع في دولة النيجر ، على الرغم من أنَّ الشعب الساوى كثيراً ما يسكن حوض بحيرة تشاد ، ونذكر من هذه المدن التي كانت للشعب الساوي قديماً وبعض منها يسكنها حتى الآن أحفاد الساو (الكوتوكو) ماو ، الفتري ، وموسورو ، وقاوي ،

---

(1)- CANAR/CAFÉ: PAGES D'HISTOIRE NATURELLEDE LA TERRE IMPRIMAIRIE DU ICHAB '8' 1996 N'DJ AMENA AOUT PP21-24.

(2)- بن يونس ، ابراهيم صالح ، تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم برنو ، شركة الباب الحلبي وأولاده ، القاهرة، 1963م ،ص ص 88-89.

وفورت لامي ، مليزي ، وماني. ومن الملاحظ أيضاً أن الشعب الساوى يقيم غالباً على شواطئ نهر شاري ولوغون وذلك عند الخط الموازي للنهرين وحتى حوض بحيرة تشاد.[1]

وقد أظهرت بعض التقنيات الحديثة أنَّ تاريخ الشعب الساوى يعود إلى القرن (13) قبل الميلاد ، وأنهم كانوا في بادئ الأمر يعيشون بصورة شبه مشتته داخل مباني بسيطة ويمتلكون قطعان من الحيوانات الأليفة ، ولم تظهر الفلاحة في أوساطهم إلا بعد قرون ، وفي القرن التاسع الميلادي أخذت بعض قبائل الساو تغادر تلك المباني الضعيفة لاستبدالها بمدن محصنة ومتباينة عن بعضها البعض.[2]

وكان ذلك بمثابة مواجهة للأخطار التي قد تسببها الفيضانات الدورية في المناطق الساحلية القريبة من البحيرة وضفاف النهريين شاري ولوغون، ولهذا وجد أبناء الشعب الساوي أنفسهم مضطرين لأن يعيشوا داخل مدن محصنة تريحهم من جميع المخاطر التي تواجههم، ولهذا السبب ظهرت تجمعاتهم في المدن المحصنة للدفاع عن أنفسهم من الغزوات الخارجية.

وعلى امتداد واسع داخل الأراضي التشادية والكاميرون والنيجر ونيجيريا تعلو أطلال ذات ارتفاع بسيط يربو على المئة متر تقريباً ، وترجع هذه المرتفعات ترجع إلى الحضارة الساوية ، ذلك الشعب الذي لا يزال تاريخه مبهما على الرغم من الأبحاث التي دارت حوله إذ أنه لا جدال في أن قبائل الساو هي من أقوى القبائل الأفريقية من حيث التكوين الجسدي ، ويذكر التاريخ أن

---

(1)- DE TOVRBET ANNIE MASSOU; EXTRIR DEPOPUL ATTONNO3 JUILLET SEPTMBRE,1951 REVUETRIELLE DELINSTITUT NATIONALE DEMOCRPHOTE,ESSAI DETVDE, DEMOJA PHOVE DE KOTOKO (REGION DT,TSHAD),P447

(2)- DETROVBET ANNIE MASSOV EXTRAIT DEPOPVLATION HO3 JJILLET 1951.SEBTEMBERE.448

الشعب الساوى كان يسكن سنة (800م) في البلماء (الكوار) ثم أقاموا جنوب بحيرة تشاد بين الكامادو جويوبية وبشاري في القرن العاشر الميلادي.

وقد أطلقت كلمة الساو على القبائل التي كانت تسكن نهر يوبية ثم بنت مع مرور الزمن مدناً عديدة ، دخل بعضها في حدود سلطنة (برنو) وتحت طاعتها مثل: يورو ، ومسك ، وسنقيه ، وكشاوا ، وجاورا ، وسب مستك ، ومشكل ، وبعضها الأخر في كرنك تاغو ، ونفالا ، ومود.

أما المدن التي أصبحت داخل حدود والكاميرون اليوم مثل: كرنك لوغون ، وكسري ، وغلفي ويحالي ، ومكاري ، وافدي ، ولكي ، فإنها جميعها تقع جنوب بحيرة تشاد.[1]

ولهم مدن كثيرة تقع قرب بلاد مندرة إلى الطرف الجنوبي الشرقي من نيجيريا على الحدود بينها وبين الكاميرون ، وأكبر هذه المدن (هي أم دفو) التي تبعد كثيراً عن ديكو.[2]

ويقول عبد الرحمن زكي: على أن الشعب الساوى كان يسكن في البلماء الكوار ثم أقاموا جنوب بحيرة تشاد بين الكامادو جويوبية وشاري في القرن العاشر ، ويقول ، الساو هم صيادون مهرة وبناؤون قادرون إذ تنسب إليهم المدن المحاطة بالأسوار.

ويدعم هذا القول كاتب آخر يقول: أن الساو هم صيادون مهرة وبناؤون إذ ترجع إليهم المدن المحاطة بالأسوار والتلال النصف صناعية في جميع المنطقة التي تحمي مدنهم من الفيضانات، الواقعة من نهر شاري الأدنى ولوغون إلى الغرب من بحيرة تشاد شمالاً ، ونجالا النيجيري وكانو

---

[1]- بيير، جاماش، تاريخ أفريقيا الاستوائية ، ترجمة عمر طلعت زهران ، القاهرة ، 1900م ، ص 22.

[2]- مؤسسة الخضري الصحفية ، صورة شاملة عن البلاد الأفريقية مؤسسة على شكل اعداد خاصة لجمهورية تشاد، قام بإعدادها مجلة الوعد شارك في الترجمة والتحرير-هناء خضري) بيروت ، عنوان الصفحة شعوب الساو، شارع مار منصور بنية نيكي ، بيروت العربية ، (ب ، ت، ن) ، ص98.

غرباً ، وذلك باستثناء الأماكن التي سكنها ملوك برنو– وبرمي أمثال (تغزر غمو) وجاسارو أو قصر أجومو وهو على بعد 75 كلم غرب بحيرة تشاد وهي المباني التي سكنها العرب الآن.[1]

ومن المعروف أن انفاق ساو 1 وساو 2 كان قد أسسها القناصون وليس الصيادين ، وقد اكتشفت أعمال التنقيب في مرتفعات الأكاكوس بالجنوب الغربي لليبيا وهي ألمباني في السقيفة الصخرية في تين طرة إلى نوع من ديمومة الإقامة فيها، ومن أكثر الشواهد الدالة على تطور الاستقرار في المنطقة وجود رسوم للجاموس والنعام [2]

وهذا ما وجد أيضاً في جبال تبستي وجبل عنيزة حيث وجدت فيها رسوم الأبقار وأناس أصحاب الرؤوس المستديرة ، وصنفت بأنها رسوم واقعية بخطوط محفورة ومهذبة ، وأن أقدم هذه الرسوم هي تلك التي وجدت في فزان بليبيا وعويد بحيرات في شمال تاسلي بالجزائر والتي تشمل رسومات بعض منها على ذلك الحيوان المسمى البيالوساستيكونس مع صغر واضح في حجم الأشكال المرسومة فقد اهتمت الكثير من البعثات العلمية بتلك الرسومات كالتي وجدها هنري لوك والتي اسماها مرحلة الرؤوس المستديرة والتي يرجع تاريخها إلى ما بين مرحلة البيالوس ومرحلة الرعي مع عدم تحديدها.[3]

ويلاحظ الدارس للمدن الساوية القديمة أنها تتنوع عبر العصور المختلفة ولذلك نأمل أن نعطي صورة مبسطة وشاملة لبعض المدن القديمة والتي كانت لجماعات بشرية من خلال الأزمنة التاريخية القديمة حسب المخلفات الأثرية الموجودة حول حوض بحيرة تشاد.

---

[1]- الطيبي . أمين توفيق ، مقال كانم برنو بالسودان الأوسط صلات تاريخية عريقة بالشمال الأفريقي ، مجلة البحوث التاريخية ، السنة العاشرة ، العدد الثاني ، منشورات جامعة الفاتح ، طرابلس ، 1987م ، ص 58.

[2]- مؤسسة الخضري الصحفية ، مرجع سابق، ص 93.

[3]- الجفائري ، محمد عبد السلام ، ط1 ، من منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، طرابلس ، 1989م ، ص 103.

و تدل الآثار المكتشفة حول حوض بحيرة تشاد على قيام مدن أو مستوطنات تشادية يرجع تاريخها إلى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد ، ويقال بأن سكان هذه المدن هم الساو الذين سكنوا هذه المناطق ، وتركوا خلفهم آثاراً هامة باقية إلى يومنا هذا تدل على تقدم الحياة الصناعية لديهم بصفة خاصة ، مثل صناعة البرونز والتماثيل والصنـاعات الخزفية واستعمال الحديد والفخار بصفة عامة ، وتكوين المدن ذات الأسوار العالية التي تصل أحيانا إلى عشرة أمتار ارتفاعاً من جميع النواحي الأربعة للمدينة.[1] وما يقومون به من تجهيزات لموتاهم ، حيث يتركون معهم المعدات الخاصة اللازمة من أدوات الأكل والشرب وأسلحة الدفاع الشخصي النفسي وكذلك أدوات الزينة، وهذا ما يدل على وجود فكرة للحياة الآخرة أي بعد الموت في ثقافة الشعب الساوى. وكان من عادات الشعوب الساوية السكنى على ضفاف الأنهار والمستنقعات معتمدين على الصيد ، ففي اثناء موسم الفيضان تغرق مساكنهم ، لذا يقومون ببناء تلال صناعية لكي يتفادوا السيل الذى تسببه الأمطار الغزيرة ، ويؤكد هذا الاستنتاج أن ما من تل أو ساو إلا بجواره مستنقع صناعي ، لأن من قام ببناء هذا التل هو الذي قام بنقل تراب هذا المستنقع ، وهذا ما شاهده الباحث في المدن الساوية التي زارها حيث أن معظم المواقع الأثرية التي خلفها الساو هي في الأصل موجودة بالقرب من مصادر المياه دائماً ، وحتى الآن بعض المدن الساوية تعتبر مأهولة بالسكان ، وعادة ما تكون في مكان مرتفع والسبب هو خوفهم من الفيضانات.

إن الشعب الساوى شعب صناعي نشط جدا لكنه يبدو عليه العصبية والإقليمية القبلية تسيطر على شعوره تماماً ، فلذا نـراهم متفرقين إلى مدن صغيرة مستقلة تحاط كل واحدة منها بسور محكم البنيان ، ثم لكل مدينة ساوية لها سلطانها المستقل ، كما أن لكل قبيلة منهم لغتها الخاصة

---

[1]- أيوب / محمد صالح ، مظاهر الثقافة العربية في تشاد المعاصرة وتحديات العولمة ، ، مطابع الصفاء التجارية – القاهرة ، 2008 م ، ص 32.

بها فمثلا سكان (كارنك لوغون) لايعرفون لهجة سكان (كسري) ولا هؤلاء يعرفون لهجة سكان (مكارى) ولاهم يعرفون أيضاً لهجة أهل (غلفي) ، وهكذا الحال مع سكان الطرف الجنوبي، مع أنهم جميعاً سكان غرب البلاد ووسطها حيث بلاد (البلقي).[1]

وهذه من الأمور الغريبة التي جعلت الباحث يتساءل هل هو شعب واحد هذا الذي تنتمي إليه حضارة الساو ، ولماذا لا يتكلمون لهجة واحدة طالما يمارسون نفس الحرفة بمناطق المواقع الأثرية التي خلفها الساو ، أم هي عبارة عن شعوب متعددة الأعراق وورثت تلك الحضارة الساوية، وبالتالي نسبت إليها حضارة الساو ومن بعدهم وهم شعب (الكوتوكو) ؟ وسكان مدينة (قاوي) لا يعرفون السبب الرئيسي لعدم تحدثهم لهجات المدن الساوية الأخرى ، ولذلك لم نجد إجابة منطقية عن سبب عدم التفاهم بينهم بلهجة أو لغة واحدة ، ونحن نقول أنها كانت شعوب متعددة الأجناس عرفت باسم (الساو)[2]

وقد دلت الحفريات الأثرية الحديثة والتي كانت تجري في حوض بحيرة تشاد حيث درست مواقع تعود إلى حضارة الشعب الساوي وهي الآن موزعة بين تشاد والكاميرون ونيجيريا ولكن معظمها يقع في الأراضي التشادية أما تحديد الترتيب التسلسلي التاريخي لهذه المؤسسات التي سكنتها الشعوب الساوية فقد تم استخدام الكربون (c14) بمعمل الاشعاعات الضعيفة بالمركز الوطني للبحث العلمي (gif–svr–rrette) ، وكذلك في مختبر الراديو كربون التابع للمعهد الأساسي لأفريقيا السوداء بمدينة داكار (عاصمة السنغال) ، وكانت هذه البعثات تدعم من سكرتارية الدولة في التعاون وإدارة المتاحف بفرنسا، والبرنامج رقم (117) وفريق البحث رقم (150) التابع للمركز الوطني للبحث العلمي، وكان ذلك بإشراف جان بول لوبييف وبعد إجراء التقنيات

---

[1]- بن يونس ، ابراهيم صالح ، تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم برنو ، ط7 ، شركة الباب الحلبي وأولاده ،القاهرة ، 2008م ، ص106.

[2]- المرجع نفسه ، ص107.

المختلفة أخذ الجزء الأكبر من البقايا الأثرية إلى متحف الإنسان بباريس والجزء الآخر إلى المتحف الوطني التشادي بأنجمينا.[1]

وهناك العديد من المدن الساوية والتى تعد حتى هذا الزمن مأهولة وقد كانت في الأساس تابعة للشعوب الساوية خاصة في تشاد والكاميرون ، باعتبار أن هذه الشعوب منتشرة في عدة دول حدودية حالياً نذكر ، من هذه المدن على سبيل المثال لا لحصرها :

– مارا تقع شمال غرب العاصمة (أنجمينا) على بعد (15) كلم ويحدها من الشمال حارة فرشي ومن الجنوب نهر شاري ومن الشرق ومن الجنوب نهر شاري أيضاً. وأما المواقع الأثرية التي تجاورها فمن الشمال المناطق الساوية، ومن الجنوب ملتم وسلوى ومن الشرق أفدى ومن الغرب كل من ولكي وبودو وكرى.

وكان الموقع محاطاً بسور يبلغ ارتفاعه ستة امتار ولكنه انهار كلياً وذلك بسبب الفيضانات التي سببتها مياه الأمطار الغزيرة، وكان له أربعة أبواب تطل على الجهات الأربعة المعروفة فهذه قاعدة متبعة في كل القرى والحصون التي بنتها الشعوب الساوية.[2] أما عن تسمية الموقع بـ "مارا" فإنه يعني قاتل التمساح بلغة الباقرمي وهذا يعني أن الباقرمي استوطنوا منطقة الكوتوكو وسموها بهذا الاسم.

– مدينة قاوي: تقع شرق مدينة أنجمينا بحوالي 20 كيلومتر، وقد أسست من قبل الشعب الساوى منذ القرن السابع قبل الميلاد ، وسابقاً كانت تسمى (مكة كازا) بلهجة الكوتوكو وسبب تسميتها بقاوي أنها تعرضت للغزو من مملكة وداي ، ولكن أهالي القرية استطاعوا صد الهجوم

---

(1)- LEBEUF,J,ANNIE,M,D;LES ARTS DES SAO LAMEROUN-TCHAD-NIGERIA HENE, 1977,PARIS, P1911

(2)- يوسف / عبد الرحمن عيسى، جذور العلاقات التاريخية التشادية السودانية من انهيار مملكة مروى الي قيام دولة الســاو في حوض بحيرة تشاد من (350_700م) دكتوراه مقدمة الى جامعة أفريقيا العالمية (غير منشورة)، 2011 م ، ص142.

حتى المرة السابعة حيث تم الاستيلاء عليها من قبل سلطان مملكة وداي . ونظراً لصلابتها سميت قاوي، وحالياً تحمل نفس الاسم وهي عبارة عن قلعة محصنة بثلاثة جدران محكمة ولها أربعة أبواب، وتقع حالياً فوق التلال الأثرية القديمة ولها جزء بسيط في الشرق الجنوبي من القرية تم تنقيبه عام 1992_1993م من قبل العالم الفرنسي الأثري جان بول لوبيبيف والسيدة كلوسترفرنسواز ، وقبل ذلك التاريخ كانت جرت أعمال تنقيب بنفس المنطقة في الفترة مابين 1960_1972 بقيادة جان شابيل في التنقيبات الأثرية بأنجمينا في ضفة نهري شاري بالتعاون مع فرانسوازترنين كلوستر التي عملت في قاوي .

– مدينة(مدقا) تقع على بعد 14 كيلو متر شمال مدينة أنجمينا شرق حظيرة الحيوانات (بفرشى)، وهي منطقة مطلة على الضفة الشرقية لمدخل لينيا حوالي 100 كيلومتر من قرية لاماجي، وقد تم اكتشافها من قبل السيدة آني لوبيبيف سنة 1948م.[1]

– مدينة (مندلية) تقع جنوب البحيرة تبعد عن مدينة أنجمينا بحوالي 55 كيلو متراً ، وتعتبر من أجمل المدن الساوية بجنوب البحيرة ذات أشجار عالية دائمة الخضرة ، سكانها خليط ، وسلطانها من قبيلة الكوتوكو، ولكن عدد الكوتوكو قليل مقارنة بالمدن الساوية الأخرى ، وتعتبر منطقة زراعية بالدرجة الأولى، حيث أن السكان يمارسون حرفة الزراعة إلى جانب صيد الأسماك وتربية المواشي خاصة الأغنام والأبقار، وهي مقامة في نفس مكان المدينة القديمة التي أسسها الساويون السابقون وأعقبهم أحفادهم الكوتوكو حالياً.[2]

– مدينة (لكن) تقع جنوب البحيرة وتبعد عن مدينة أنجمينا حوالي 90 كيلو متر، وهي قريبة من الحدود الكاميرونية وتزخر بالثروة سمكية، (خاصة في شهر (فبراير) أي بعد موسم الخريف

---

[1]- ادم ، يوسف شعيب ، أصل شعب الساو وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية ، بحث أعد لنيل درجة التمكن (المتريز) ،جامعة أنجمينا ، 2000 م ، ص ص32 - 31.

[2]- زيارة ميدانية قام بها الباحث ، بتاريخ 2011/2/15يوم الاحد.

وبعد فصل الربيع) وفي نفس الوقت منطقة زراعية وذات ثروة حيوانية كبيرة، وسكانها من (الكوتوكو) مع اعداد أخرى من القبائل المختلفة، [1] كما يوجد بها العرب والكوتوكو، والفلاته وغيرهم إلا أن العرب والفلاته هم أصحاب ثروة حيوانية متنقلين غير مستقرين بالمنطقة ، ولم يتم استكشاف هذه المدينة حتى الآن حيث لم يتم التنقيب فيها لتحديد تاريخ تأسيسها.

وهناك مدن ساوية توجد بدولة الكاميرون حتى الآن تحمل الأسماء القديمة التي أطلقها عليها الشعب الساوى آنذاك ، وهي حالياً مأهولة بالسكان وكلها تقع جنوب بحيرة تشاد وهي: مدينة كسري، وغلفي وأفادي، وكرى، وبدوو، ولوغون بيرني. وتعتبر مدينة غلفي من أهم المواقع الأثرية بدولة الكاميرون حيث أنها تمتاز بموقع جغرافي سياحي مهم جداً، وبها أكبر سور شيد بالطين والحجارة وقد أحاط بالمدينة ، وهو لا يزال قائماً حتى الآن.

إن الشعوب الساوية تعتبر من بين أقوى شعوب القارة الأفريقية في تلك الفترة من حيث الخلقة ومن ناحية الكثرة العددية والقوة الجسدية ، فمن زار مدنهم وشاهد ماخلفوه من المباني الكبيرة والأسوار الضخمة التي أحاطوا بها مدنهم والأواني والقدور الفخارية الكبيرة والجرار ذات الأحجام الكبيرة من حيث الحجم والثقيلة من حيث الوزن، سلم لهم بهذا القدر من العظمة، وحتى الآن باستطاعة أي إنسان أن يقف على بعض آثارهم التاريخية كشاهد عصر يشاهد ماتركوه من الفنون التذكارية بمدينة (نفالا) وغيرها من مدنهم التي نشأت على ضفاف بحيرة تشاد.[2]

---

[1]- زيارة ميدانية قام بها الباحث ، بتاريخ 2011/2/25 يوم الأربعاء.

[2]- بن يونس ، ابراهيم صالح ، تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم برنو، مرجع سابق ، ص 104.

الفصـــل الثـــــاني : (تاريخ قاوي في العهد الساوي)

المبحث الأول : موقع مدينة قاوي.

المبحث الثاني : دور مدينة قاوي الاقتصادي (الزراعة ، الصناعة ، التجارة).

المبحث الثالث : أثار الساويين في مدينة قاوي.

المبحث الرابع : مقارنة بين الحضارتين الساوية والكنعانية.

مدخل :

عند خروجك من العاصمة (أنجمينا) متجهاً نحو الشرق ، مجتازاً أحياء أم رقيبة ، دقيل الرياض ، دنقيسو ، مروراً بالسياج الأخضر وبانتهاء الطريق المُعبّد ، وبداية الطريق الترابي (الردمية) ، ينتابك إحساس من يغادر عالم إلى عالماً أخر، من عالم ملئ بالحركة والضجيج إلى رحاب الهـــدوء والسكينة،من عالم مصنوع (اسمنت ، حديد ، عمارات ، سيارات)، إلى رحاب الأرض والغابة....وكلما اقتربت من قرية (قـــاوي) الأثرية تعاظم إحساسك بالشوق واللهفة الممزوج بالفخامة وعمق الماضي، وذهنك مشحون بتساؤلات حيرى ، مصدرها ما يقال من قصص حول طول وضخامة (الشعب الساوى) وما يقال عن قوتهم بحيث أن الواحد منهم يستطيع قتل الفيل وحمله علـى كتفه،وغير ذلك من القصص التي هي أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع، وعلى بعد كيلومترين من قرية قـاوي تقريباً،تجد على يسارك مطعماً وضع صاحبه لوحتين كبيرتين ، مرسوم على اللوحة الأولى شخص طويل وضخم، يحمل على كتفه فيلاً ضخماً،وعلى اللوحة الثانية امرأة لا يقل طولها عن أربعة أمتار تحمل جرةً كبيرةً مملوءةً بالماء.. هاتان اللوحتان تكاد تثبت فـــي ذهنك ما كنت تحسبه مبالغاً فيه أو خيالاً ، وينتابك شعور ينقلك إلى عالم أخر تماماً غير عالمنا الـذي نعيش فيه، وبعد ذلك تداعبك أشجار خضراء كثيفة ممتدة على جانب الوادي الذي يمر بغرب القرية، وبمجرد عبورك الجسر المقام على الوادي، يقع نظرك على مجموعة من الشباب يعملون عـلى صيانة الدراجات النارية،ويقابلهم مركز الشرطة، ويؤكد هنا اهتمام الدولة بهذه المنطقة الأثرية الهامة، وعلى بعد أمتار تفتح أمام ناظريك ساحة كبيرة ، وأول ما يلفت نظرك الجدران ذات الألـوان المزركشة والرسوم المختلفة الأشكال والألوان ، وأمامك مباشرة المسجد الذي وضع في وسط الساحة وهو المسجد الوحيد بالقرية،وعلى يمينك قصر الضيافة الذي يحمل لافتة كبيرة مكـتوب عليها باللغة الفرنسية (قاوي 600 سنة قبل الميلاد)، ويقع شرق المسجد مباشرة المتحف بشكله الفريد وألوانه الزاهية ، والذي يقف شاهداً على

عظمة (الساو) وسمو إبداعاتهم الخلابة لـــهذه المناظر التي تترك في نفسك شعوراً بالعظمة والفخر ، وتولد لديك رغبة جامحة تدفعك للتجوال داخل هذا المتحف وما يحتويه من المقتنيات التي تحمل في طياتها تاريخاً عظيماً مثيراً للدهشة يحتاج إلى فك الكثير من طلاسمه...و القرية نفسها موجودة في الموقع الأثــري مما يؤدي إلى صعوبة البحث عن محتويات الموقع أي المخلفات الأثرية التي تتعلق بالشعوب الساوية الأقدمين منهم أو أحفادهم (الكوتوكو) الذين ورثوا حضارة الساو بحوض بحيرة تشاد حالياً، اذ تعتبر الجماعات الساوية من أقدم الجماعات السكنية حول حوض بحيرة تشاد ،وعرفت النظام الاجتماعي القبلي في طوره الثاني أي التحالفات القبلية التي تشكل نظاماً ملكياً غير وراثي من الناحية النظرية، لأنه يتكون من مجموعة ممثلي القبائل من أجل صد أي عدو خارجي أو بناء المدن المحصنة والدفاع عنها، وهي عملية من الصعب أن تقوم بها قبيلة لوحدها . ويلاحظ إن الجماعات الساوية لم تعرف النظام السياسي والاجتماعي القبلي المنفرد الذي كان سائداً في كثير من المناطق الأفريقية ، لأن الساو جماعات مهاجرة من الشرق والشمال وقد علمتها مراحل الهجرة الصعبة التي قطعتها أهمية الحياة المشتركة في تحالفات كبيرة، ثم طــور الشعب الساوى النظام الاجتماعي إلي سلطنات قوية، وما إن جاء القرن الثامن الميلادي حتى عرف عنهم تعاونهم مع جماعات جديدة متعددة أنضمت إليهم من أجل تكوين إمبراطورية قوية عرفت بإمبراطورية كانم[1].

الواقع إن تصنيف الحضارات الأفريقية عمل مازال في أولوياته، على الرغم من الجهد الكبير والمتواصل الذي بذله الباحثون من أجل ذلك،ومن هؤلاء (بومان ،وسترمان) وسواء تم هذا التصنيف على أساس دورات حضارية، أو على أساس دوائر حضارية كما فضل بومان ووسترمان ، فإن تقدم الأدوات المعرفية في علوم الحفائر وما قبل التاريخ ، والآثار، وما يؤدي إليه كل ذلك مــن معرفة

(1)-ايوب / محمد صالح ، الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبدالحق الترجمي في دار وداي – تشاد (1853م-1917م)،جمعية الدعوة الاسلامية العالمية –ط1 ، طرابلس ، 2001م، ص 52.

بمسار الهجرات الداخلية والخارجية من شأنه أن يضيف الكثير إلى المحاولات التي تهدف إلى جـــلاء طبيعة الحضارة الأفريقية وإبراز دورها في التراث الإنساني[1].

والجدير بالذكر أن الحضارة الزاندية تشذ عن هذه المجموعات في كونها أقامت نظام دولة، الأمر الذي لم يكن له وجود في النظم الاجتماعية لمجموعة هذه الدائرة ، وهنا يبدو تأثير الحضارة العربية ونظم الحكم التي عاش تحتها الا فوتقارا في منطقة تشاد قبل هجرتهم إلى منطقة الازاندي ، فربما كان لهذه القبائل اتصال مع الشعوب الساوية التي هاجرت إلى حوض بحيرة تشاد، ومن الملاحظ إن الزاندية تعرف النظام المركزي السياسي ، وتمارس في نطاق القرابة (نظام البطن الطوطمي) الذي يؤدي إلى الزواج الاغترابي، والسلطة أبوية ، بينما لا يوجد هذا النظام في الشعوب الساوية ، ومن الملاحظ أيضاً أن حياة الزاندي تعتمد أساساً على الزراعة والصيد فقط، وليس للحيوان المستأنس في حياة الزاندي مكان، لا اقتصادياً ولا اجتماعياً،وهي تتبع من الحضارة السودانية القديمة والحديثة في أصولها[2].

إن دور الطوطم هو إثبات شرعية النسب حتى تقوم العلاقات الدينية بين الأب و الإبن على أساس حقيقي، وحتى يتأكد الإبن من أبيه ، وسوف يلجأ إليه في كثير من الحالات، فيما يصادفه من أحداث الحياة المختلفة[3]. والطوطم هو عبارة عن حيوان طوطمي (هو نفس الشخص الميت الذي يتقمص جسد ذلك الحيوان بعد موته)، وأن دور الطوطم في الحضارة الزاندية يختصر في النسب البطوني[4]. وهذا الأمر لا يوجد في حضارة الشعوب الساوية بحوض بحيرة تشاد، كما أن الشعب الساوى كان يعتمد على الحيوان المستأنس على عكس ما كان عليه الشعب الزاندي. وإذا حاولنا استنطاق الماضي، وجدنا أن لكل من هاتين الصورتين جذورهما الأصلية في التفكير البشري، حيث يبدو لنا إن

([1])- صابر / محي الدين ،التغير الحضاري في مجتمع افريقي ، دراسة ميدانية عن قبائل الازاندي (نيام نيام) المكتبة العصرية صيدا- بيروت ، 1987م ، ص 122.

([2])-صابر/ محي الدين ، نفس المرجع السابق ، ص ص 123-124.

([3])- صابر، محي الدين ، المرجع السابق ، ص 134 .

([4])- صابر/ محي الدين ، نفس المرجع السابق ، ص ص 123-124.

صـــورة التنوع والاختلاف أقدم من صورة الوحدة والتماسك ، وأعمق جذوراً. ذلك لأن الحضارات القديمة قد نشأت في أماكن مختلفة من العالم حين ذاك في أن تكون منفصلة بعضها عن بعض انفصالاً تاماً، وكـــونت لذاتها وأساليب عيشها وأنظمتها ومعتقداتها وتقاليدها الخاصة بها ، وكان طبيعياً عندما كانت تتصل، أن تبرز لأذهان أبنائها أوجه الاختلاف القائمة بينها، وهذا ما برز فعلاً لهيرودوت، أبى التاريخ ، عندما رحل إلى البلاد المجاورة لوطنه، وتحرى عادات أهلها ومسالكهم ومعارفهم وحديثهم في شؤونهم، حيث خرج من هذه الشعوب بصور ورسوم وعادات وتقاليد وحضارات متعددة متباينة [1].

([1])- زريق ، قسطنطين ، في معركة الحضارة، دراسة في ماهية الحضارة واحوالها في الواقع الحضاري ، ط 3، دار العلم للملايين، بيروت ،1977م ، ص 51 .

المبحث الأول

موقع مدينة قــاوي

موقع مدينة قـــاوي :-

حدد جان بول لوبييف الموقع الذي استقر فيه الشعب الساوى ما بين 13-18طولاً،و11-19 عرضاً جنوب بحيرة تشاد [1].

أما موقع مدينة قـــاوي فهو مابين 15-24 طولاً و12-26 عرضاً شمال شرق بحيرة تشاد. وتبعد عن مدينة أنجمينا حوالي 20 كيلومتراً، شمال شرق بلدية أنجمينا، على الضفة اليمنى من نهر شاري، وعلى ضفاف نهر مالاو. وقد عرفت الأقاليم الممتدة جنوب بحيرة تشاد، قـدوم مجموعات كثيرة تميزت بأسلوب الحياة التي مارسوها في الصيد البري والبـحري [2]. ومن هذه المجموعات قبائل الساو الذين قدموا إلى هذه المنطقة من ناحية الشرق (نيل مصر) إما مباشرة بالاتجاه غرباً ، أو بطريقة غير مباشرة عن طريق ساحل البحر المتوسط، ثم الانحراف جنوباً، ومن الملاحظ أنهم انتشروا أولاً في معظم منطقة السودان الأوسطية، وعاشوا فيها قروناً عديدة، قبل أن يستقروا في آخر مطافهم في جنوب بحيرة تشاد، حيث بنوا مدنهم المحاطة بالأسوار، وكانت قبائل الساو، تعيش في شكل إمارات ذات نظام سياسي شبه إقطاعي .

أسست مدينة قـاوي في القرن السابع الميلادي على يد أحد أفراد الساو، يدعى (دنقو) ، وذلك بعد دخول الإسلام إلى منطقة حوض بحيرة تشاد، حيث لم يعرف لها مؤسس قبل الإسلام، أما في عصر الإسلام فقد ارتبط اسمها (بدانقو) والتي أصبحت تسمى بعد دخول الإسلام (مكة كنزيا) أي بمعنى مكة الصغيرة بلغة (الكوتوكو)، وقد استطاع دنقو وإخوانه من سوني التاقواتو (السودان الحالي) عقب طوفان مر بالمنطقة ، وبعد رحلة طويلة أن يستقر احدهما في منطقة يـاو (yao) ببحيرة الفتري ، أما الآخران فواصلا الرحلة حتى منطقة مكة كنزيا (makka kanzia) التي استقر فيها دنقو فيما استمر الآخر حتى منطقة هولوف . سكنت إمارة مكة كنزيا (قاوي) عدة مجموعات

---

(1)- Jean paul lebeuf ,carr ,archeologique des abord du lac. 1960 Tchad- p 60 .

(2)- زينب عبدالرحمن ، عرفة عثمان، دراسة مقارنة لاثار الساو بين موقعي مدقا وقاوي، بحث مقدم لدرجة التمكن، في التاريخ القديم، العام الجامعي جامعة انجمينا - 2002-2003 م ، ص 5 .

من بينها البلالة الذين يُعتقد بأنهم المؤسسون لمنطقة قـاوي ، بالرغم من أنهم لا ينتمون إلى الشعب الساوى، في حين تؤكد الدراسات بأن السكان الأوائل لهذه المنطقة هـم الساويون، وهم المؤسسون الفعليون لموقع قاوي[1]. وإن أغلب المصادر العربية والأجنبية تؤكـد بأن الساو، هم أهم وأقدم السلالات البشرية التي سكنت منطقة السودان الأوسط ولعبت دوراً هاماً في تاريخ سلطنة لوقون الإسلامية، بصفة خاصة حيث انحدرت من هذه السلالة العريقة قبائل الكوتوكو التي تقطن حالياً هذه المنطقة (السودان الأوسط) ومنها موقعة (قـاوي)[2].

ونستنتج من ذلك ، أنه لا يمكن الإثبات بالأدلة أن المجموعات التي توافـدت للمناطق الساوية (بحوض بحيرة تشاد) وسكنت فيها تنسب إليهم، ولو تـوافقت بعض الأنشطة التي كـانوا يمارسونها مع بعض أنشطة الشعوب الساوية القديمة . و قـاوي حالياً مدينة قديمة ذات جدار محطم، تسكنها قبائل الكوتوكو التي يرجع نسب جزء منها إلى كالاكفرا (KALA KAFRA) وكما يدعى الجميع باسم الكوتوكو الصيادون بالحراب والذين ترجع أصولهم إلى (قوركو) أحد فروع قبائل الكوتوكو ، وتعتبر مدينة قاوي من أقدم المنشآت التي تعبر عن الحضارة الساوية العريقة ، ونسبة للتجديدات التي أتى بها البلالة المنحدرون من دال أصبحت منطقة قـاوي مدينة ذات حضارة قائمة إلى يومنا هذا، مما يؤكد لنا التقدم الذي شهدته المدينة في العصور الماضية[3]. وتبلغ مساحة هذا الموقع ما يقارب (180.000متر مربع) في حين يقدر عدد سكان مدينة قـاوي بحوالي (3660 نسمة) وفقاً لأرشيف السجل المدني للمدينة لإحصائية 2011م[4]. وكان حجاج بيت الله الحرام القادمين من نيجيريا ومناطق غرب أفريقيا عندما يحجون سيراً على الإقدام أو على ظهور الدواب يحطون

---

(1)- Jean paul lebeuf ,carr ,archeologique des abord du lac 1960Tchad. - p 60 .

(2)- ماجه، محمد ابكر، سلطنة لوغون الاسلامية تاريخها وحضارتها ما بين القرن السابع عشر والقرن العشرين الميلادي، بحث مقدم لنيل الدراسات المعمقة في التاريخ والحضارة،جامعة انجمينا ، 2002 م ،ص 17 .

(3)- Jean paul lebeuf ,opcit- p 66 .

(4)- زكريا،حسن قاسم، الصناعات الخزفية في قاوي ، بحث مقدم لدرجة المتيريز في التاريخ والحضارة ، جامعة انجمينا - 2004م ، ص 3 .

الرحال في قرية (قـاوي) ويمضون زمناً طويلاً يمتد إلى عام أو عامين يعملون خلالهما في الزراعة، وإذا اطمأنوا على ما يكفيهم من زاد يواصلون رحلتهم حتى الأراضي المقدسة ، لذلك كانت قرية قــاوي ، تعتبر المرحلة الأولى و المحطة الأولى في طريقهم إلى مكة المكرمة. وكانت (قاوي) محاطة بسور عظيم يبلغ ارتفاعه عشرة أمتار وسمكه أربعة أمتار، به بابان، باب في الشرق وآخر في الغرب ويقوم أربعون رجلاً بإغلاق الأبواب وفتحها في الماضي قبل انتهاء السور.[1] انظر الشكل(1)



شكل (1) عدسة الباحث ، صورة لبقايا صور مدينة قاوي الأثرية

ويقال أنه خلال بناء سور مدينة (قــاوي) وكلما وصل بناء السور إلى مستوى معين ينهار،وعندما تكــرر هذا الأمر، استشار أهلُ القريةِ (الكهنةَ) الذين بدورهم أوصوا بضرورة تقديم قربان فـداء (هدية للإله)، وهي عبارة عن أجمل فتيات المنطقة ، وفي يوم السوق وهو اليوم الذي يجتمع فيه

([1])- ابودمه ، مكي عزالدين ، مملكة قاوي ، حضارة سبعة وعشرون قرناً 600 ق.م،ط 1، مركز الصقر للطباعة والنشر- انجمينا- 2012م، ص 16.

أغلب سكان القرية ، عثروا على فتاة جميلة تدعى (ساكنة) وهي من قبيلة أولاد حمد المنتسبين لبني سيت ، وكانت الفتاة أروع بنات المنطقة، وبعد أن تم القبض عليها، قاموا بحفر حفرة بطول الفتاة وأوقفوها في هذه الحفرة ثم بنوا عليها أساس السور الذي وصل ارتفاعه عشرة أمتار، وهذه الرواية الشعبية متداولة بين سكان مدينة قاوي حتى الآن، وأصبح هذا الفداء بالفتاة سبباً للتعايش السلمي بين قبائل الكوتوكو والقبائل العربية التي تعيش في المنطقة ولا وجود للدية بينهما [1].

أما اسم (قاوي) فقد أطلقه سلطان وداي محمد شريف في الفترة ما بين (1835–1858م)، وذلك عندما كان يقوم بغزو المناطق الجنوبية الغربية لسلطنة وداي ، وعندما كان في طريقه للغزو وقف عند مملكة قاوي وحاصرها لفترة من الزمن بغرض ضمها لسلطنة وداي ، وعلى مقربة من القرية دار قتال عنيف بين جيش سلطنة وداي وجيش (الكوتوكو) ، ولم يتمكن جيش سلطنة وداي من اقتحام السور العظيم ، بسبب براعة الكوتوكو في فنون القتال ، حيث تدخل النساء في عملية الحرب، وذلك بصب الماء الساخن المخلوط بالبراز على رؤوس جند العدو، ويقوم الرجال بضربهم بالحراب والنشاب من فوق السور، الأمر الذي تسبب في هزيمة جيش سلطنة وداي أمام قوة محاربي الكوتوكو ، عند ذلك أطلق السلطان محمد شريف مقولته الشهيرة (القرية دي حقرناها لكن وجدناها حلة قوية)، ومنذ ذلك الحين تحول اسم القرية من (مكة كنزيا) إلى (قاوي)، وبسبب فقدان عدد كبير من جيشه، عدل السلطان محمد شريف عن غزوته وعاد إدراجه إلى مدينة أبشة[2]. ومن وسائل الحرب عند الكوتوكو (النحل) حيث كانوا يقومون بتربية النحل لاستعمال عسله في الغذاء والعلاج، واستخدام جيوش النحل في الحرب ضد العدو، إذ كانوا يقومون بوضع النحل في بيوت مخصصة يطلقون عليها (كربو) المعروف بـ (تنقل) أو (دمبي) وكانوا يصنعون الكربو من الطين بطريقة تسمح لهم باستخراج العسل دون الحاجة إلى كسر الكربو، لأنهم كانوا

(1)- مكي ، عز الدين ، نفس المرجع السابق ، ص ص 17,16.
(2)- مكي ، عزالدين ، نفس المرجع السابق ، ص ص 18,17.

يصنعون الكربو بفتحتين، فتحة في الأعلى ليدخل منها النحل، وفتحة أخرى من الأسفل ليسحب منها طبقات العسل، وبعد سحب العسل يتم قفل الفتحة السفلى حتى يبدأ النحل في وضع أطباق عسل من جديد، وإذا نشبت حرب يقومون برمي الكربو على الأعداء فيتطاير النحل ويهجم على العدو في ساحة المعركة .

يوجد في مدينة قاوي الآن مسجد قديم مبني من الطين، تم بناؤه عام 1998م بالطوب المحروق والاسمنت والحديد، كما يوجد بها مركز أمن، وصهريج ماء (خزان) ومتحف (قاوي) الذي يضم معظم مخلفات الساو، وقصر السلطان، وتتميز مباني المدينة عامة بالجدران الملونة والرسومات الجميلة، التي تقوم بإبداعها نساء المدينة[1]. تتكون مدينة (قاوي) من أربعة أحياء، وهي: حي تكر ومعناه بلغة الكوتوكو (كبير) وحي هدى وحي قاوي ويعني أساس بلغة الكوتوكو ، لأن أغلب السلاطين من هذا الحي، وحي نقامي ، ومن أهم مؤسسات المدينة : المتحف، وقصر السلطان، والمدارس، والمركز الصحي،والمركز الأمني، والمسجد العتيق[2].

(1)- امينة الشيخ ادا،واخرون،موقعة قاوي الاثرية، جامعة انجمينا ، 2012م-2013م ، ص 9 .
(2)-مكي ، عزالدين ، نفس المرجع السابق ، ص 18 .

المبحث الثاني

دور مدينة قـــــاوي الاقتصادي (الزراعة ، الصناعة ، التجارة)

الــزراعـــــــــــــة :-

إذ أكدت الكشوفات الحديثة عن أثار الشعب الساوى كثيراً من المهن التي كـانوا يقومون بها منذ العصر الحجري القديم وحتى العصر الحجري الحديث، ومــن هنا نستطيع أن نقول أن هناك أقوام سكنوا في منطقة حوض بحيرة تشاد، ومن الحرف التي كانت أكثر تـداولاً هي الزراعة وتليها الصناعة. أما الجانب الزراعي لشعب الساو فأنه يتمثل في زراعة الغلال للاكتفاء الذاتي وزراعة القطن التي تتمثل فـــي صنع شبكات للصيد البري والبحري والملابس، وما زالت تستعمل لـدى أحفاد الساو (الكوتوكو)، ومن صنف الحيوانات التي كان يصطادها الشعب الساوى، أنهم لا يصطادون إلا ضخام الحيوانات مثل فرس النهر أو الفيل، وقيل أن احـدهم يستطيع أن يحمل مثل هــذه الحيوانات في سهولة ويسر[1]، وأنهم اتخذوا عصيهم من جـذوع الأشجار الضخمة مثل النخيل وما شابه ذلك .

أشتهر الشعب الساوى من قديم الزمان ، بحرفة الصيد البري والبحري، وأحفاد الساو هــم (الكوتوكو في مدينة قاوي) والقرى التابعة لها ، ونظراً لتغير البيئة القديمة بابتعاد بعض القرى عن مورد الماء وقلة الصيد البري ، فقـد أصبحت الزراعة هي النشاط الاقتصادي الرئيسي فـــي منطقة ، حوض بحيرة تشاد ، حيث يقوم الرجال بزراعة الــذرة، والذرة الرفيعة (المسر) في موسم الخريف، وفي الشتاء يقومون بزراعة الذرة الشتوية المعروفة بـ (البربري)، إضافة إلى زراعة الخضروات والفاكهة وتربية الماشية بجميع أنواعها [2]. إذ أكدت التنقيبات الحديثة عن أثار الشعب الساوى كثيراً من المهن التي كـانوا يقومون بها منذ العصر الحجري القديم وحتى العصر الحجري الحديث، ومــن هنا نستطيع أن نقول أن هناك أقواماً سكنوا منطقة حوض بحيرة تشاد، ومن الحرف التي كانت أكثر تـداولاً هي الزراعة وتليها الصناعة. وتحتل الزراعة المرتبة الأولى ضمن الأنشطة البشرية

([1])- عبد الحميد ،ابكر، نقلا من محاضرة بتاريخ 1999/08/19م.
([2])- مكي ، عزالدين ، نفس المرجع السابق ، ص 32.

ومصادر الثروة في تشاد عموماً ، ويساعد على ذلك توفر الظروف المناخية المناسبة للـزراعة من حيث الأراضي الواسعة الصالحة والتربة الخصبة، والمياه العذبة التي توفرها الأمطار والأنهار والأودية الموسمية ومياه العــيون والواحات والبحيرات، ويمارس شعب الكوتوكو وهم أحفاد الساو هذه الحرفة حتى الآن أي الزراعة بطرق تقليدية [1].

وتمثل الدخن والذرة والذرة الشامية والأرز أهم المحاصيل الزراعية، ويعتبر القطن، كذلك من أهم السلع النقدية في تشاد، وقد ادخلت زراعته في البلاد منذ العقد الثاني من القرن الحالي .

ويعمل في زراعة القطن عدد كبير من التشاديين يقدر بحوالي نصف مليون فـلاح، وتتركز زراعته في الجنوب على حوض نهر لوغون وشاري على رقعة شاسعة من الأرض تزيد عن (200) ألف هكتار [2].

والنشاط الاقتصادي الذي اعتمده الشعب الساوى بالدرجة الأولى هو الزراعة والرعي، شأنه في ذلك شأن كثير من شعوب البلدان الأفريقية القديمة .

كما ظل الإنتاج الزراعي الوسيلة الأساسية للمعيشة للكوتوكو أحفاد الساو بمدينة قــاوي ، وهم لا زالوا يمارسون حرفتي الزراعة وصناعة الفخار بمختلف أنواعه، وهي صناعة تقليدية حتى الآن رغم دخـول الآلات الصناعية الحديثة . وينقسم هذا الإنتاج إلـى منتجات صناعية وأخرى غذائية، فمن المنتجات الزراعية الصناعية القطن، وهــو الذي يصــدر إلى الخارج، ويعتبر شعب الكوتوكو، من أشهر شعوب حوض البحيرة الذين يمارسون هـذه الحرفة خاصة في مدينة (لكن) التي تعتبرمن أهـم مناطق الزراعة وصيد الأسماك[3].

([1])- برشم ،نورين مناوي ،تشاد بين التحديات والافاق، مطبعة الزحف الاخضر- طرابلس ، 1995م، ص 83.
([2])- برشم ، نورين مناوي ، نفس المرجع السابق- ص 85 .
([3])- تاريخ تشاد، من عصر ما قبل التاريخ وحتى أيامنا هذه،منشورات ،ولوار-اوفست تيتولية-سنت اتيان ، 2013م ، ص ص 16-17.

ومن خلال هذه المعطيات نستطيع القول أن الشعب الساوى ، ومن خلفهم أحفادهم الكوتوكو يشتغلون حرفة الزراعة والصيد بالدرجة الأولى ، وبهذا الصدد يورد لنا الشيخ ابراهيم صالح بن يونس : (إن شعب الساو صيادون مهرة وبناؤون قادرون تنسب إليهم المدن المحاطة بالأسوار، وعرفوا صناعة الأواني الفخارية الضخمة التي يعدونها لتخزين المياه وحفظ الغـلال وسائر الحبوب والمحصولات الزراعية). إن الشعب الساوى الذي أستقر فيما يعرف بالمنطقة التشادية، هم القادمون من الشمال، ثم لحقهم القادمون من الشرق، وهم في المقام الأول مـن الصيادين وصيادي الأسماك ومربي الماشية [1]، وأخيراً الفلاحين وذلك عندما بدأوا بالاستقرار حول حوض بحيرة تشاد ابتداءاً من 12000 سنة قبل الميلاد حتى نهاية العصر الجليدي الأخير. ويذكر التاريخ بعض حضارة الشعب الساوى بشئ من الإعجاب لما بذلوه من جهود، من أجـل بناء صرح الحضارات التشادية القديمة، إذ يرجع إلى الشعب الساوى بناء المدن المحاطة بالأسوار[2] وتلال نصف صناعية في أنحاء المنطقة بين مجاري نهر شاري الأدنى ولوغون غرباً من بحيرة تشاد وشمالاً.

إذ يرجع إلى الشعب الساوى المدن المحاطة بالأسوار[3] وتلال نصف صناعية في أنحاء المنطقة بين مجاري نهر شاري الأدنى ولوغون غرباً من بحيرة تشاد وشمالاً. وكان النظام الاقتصادي لـــدى الساو يقوم على التبادل التجاري وإنتاج بعض المحاصيل الهامة، ولم يذكر في تاريخهم الاهتمام بنظام المقايضة الذي كان منتشراً في المناطق الأفريقية، حتى لفترات قريبة، إلا أنه من

([1])- أيوب /محمد صالح،مظاهر الثقافة العربية في تشاد المعاصرة وتحديات العولمة،ط1، مطابع الصفا للمطبوعات التجارية،القاهرة ، 2008م، ص17.

([2])- ايوب ،/ محمد صالح ، الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق الترجمي في دار وداي – تشاد (1853م-1917م)،جمعية الدعوة الاسلامية العالمية –ط1 ،طرابلس ،2001، ص 34.

([3])- ايوب ، د/ محمد صالح ، الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق الترجمي في دار وداي – تشاد (1853م-1917م)،جمعية الدعوة الاسلامية العالمية – ط1 ، 2001 ، طرابلس ، ص 34.

الملاحظ فيه أنهم لم يستخدموا أي عملات نقدية محلية غير الذهب والفضة والملح وعملات الطين المحروق [1] أنظـر شكل (3).

ولا تزال الزراعة التي مارسها الشعب الساوى ومن بعدهم شعب الكوتوكو إلى جانب صناعة الفخار بمختلف أنواعه بدائية حتى الآن رغم دخول الآلات الصناعية الحديثة .

ويتمثل الاقتصاد الساوي في أربع مجموعات هي :

الزراعة وتربية الحيوانات والصيد والصناعة. فالساويون شعب صناعي نشط للغاية، لكن يبـدو أن العصبية الإقليمية القبلية تسيطر على شعوره، لذلك نراهم متفرقين إلى مدن صغيرة، يحيط بكل واحدة منها سور محكم البنيان، كما نلاحظ أنه تحيط بكل مدينة بعض القرى الصغيرة التي تنتسب إلى أهل تلك المدينة الكبيرة، وكذلك نـلاحظ أن لكل مدينة من مدنهم سلطانها المستقل،[2] ولها أيضاً نلاحظ لغة خاصة بها.

ويعمل بقطاعات الزراعة وتربية المواشي والصيد حوالي 90% من التشاديين، حيث تمثل هذه الأنشطة 61% من إجمالي الناتج المحلي (لعام 2004م). وتعتمد إلى حـد بعيد على الأحوال المناخية بشكل أساسي في إطار أنظمة الإنتاج الغـذائي المتسعة ، والتي ترتكز على الأيدي العاملة في المحيط العائلي، ويــذكر أن التوزيع المناخي من شأنه تحديد يد السياسات الزراعية منذ عهد قديم بحوض بحيرة تشاد ([3])، ومارست الشعوب الساوية منذ قديم الزمان هذه الحرفة إلى جانب صيد الأسماك والصناعة . و تركزت جهود التنمية لإمـداد جميع الأقاليم الشمالية الأقل حصولاً على المساعدة بالمواد الغذائية، وتكشف الـدراسات الحديثة أن الجنوب وصل إلى حد توفير المأكل لسكانه الأكثر عــدداً، وهي المنطقة الساحلية التي تمد العاصمة (أنجمينا) والشمال بالمنتجات

([1])- ايوب ، د/ محمد صالح ، نفس المرجع السابق، ص 52 .

([2])- بن يونس ، ابراهيم صالح ، تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم – برنو ، شركة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة –2008م ، ص 106 .

([3])- اطلس تشاد ، طـ1 ، مطابع meme ، بفرنسا -2008م ، ص 32 .

الغذائية، بما في ذلك مدينة (قاوي) موضـوع البحث ، بـ(الحبوب والبقوليات) بمشاركة حقول الذرة الصفراء (الشامية) أو الذرة الرفيعة في مساحات كبيرة في إقليم مندو ودوبا .

وبخطى بطيئة نجد أن السمسم يأخذ شيئاً فشيئاً مكانة له في الأسواق ، كذلك نلاحظ ظهور اللوبيا الحمراء في الآونة الأخيرة وهي ذات مادة غذائية كاملة البروتين لـذوي قليل الدخل.

الصناعة عند الشعوب السـاوية:-

ورثت المرأة الكوتوكاوية، بالإضافة إلى القيام بشؤون البيت، فن صناعة الخزف من جداتها ، فهي تقوم بصناعة الجرار والمزهريات وغيرهما، كما تشتهر بتلوين جدران المدينة والرسم عليها.

وقد درجت بعض المنظمات بالتعاون مع وزارة الثقافة على تنظيم احتفال سنوي بقرية (قـاوي)،[1]. وفيه يتم تكريم نساء القرية بهدف تشجيعهن على مواصلة الإبداع في صناعة الخزف، وحثهن على الحرص والمحافظة على هذا التراث الغني وهو الصناعات الشعبية التقليدية .

و أشتهرت حضارة الساو بسمات حددها العلماء، وذلك من خلال مظاهر معينة أو آثار تصاحب حياة شعب الساو أينما حلوا. ومن أبرز هـذه الخصائص بناء المدن ذات القلاع الحصينة وإتقانهم لصناعة المعادن من الحديد والنحاس والبرونز، فضلاً عن أعمال الفخار الجميل المتقن. ومـن روائـع فنونهم الصناعية رؤوس الكباش التي يصنعونها من الفخار، ورسوم صور الحيوانات، ومشاهدة الألعاب الرياضية، وأشتهر الساو كذلك بالطقوس الجنائزية المعقدة ، [2] كذلك من أبرز خصائص حياتهم الاجتماعية سمو منزلة النساء حتى أنه كـان لهن نفوذا كبير في شؤون الحكم وإدارة البلاد عندما يكـون السلطان خارج البلاد أي خارج مركز سلطته.

([1])- مكي ، عزالدين ، نفس المرجع السابق ، ص 51.

([2])- ايوب / محمد صالح ، الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبدالحق الترجمي في دار وداي – تشاد (1853م-1917م)،جمعية الدعوة الاسلامية العالمية –ط1 ، طرابلس–2001، ص 54.

تميزت الشعوب الساوية بصناعة الخزفيات في كل المناطق التي نشأت فيها دولتهم، وهناك العديد من المواد الخزفية استخدمت لطبخ الطعام، وصنعت منها أكواب لشرب الماء، وزخرفت بألوان مختلفة، منها اللون الأبيض والأسود ، كما استخدمت المواد الخزفية لصناعة الجرار التي يدفن فيها الأموات.

ويمكن القول أن تلك المرحلة كانت من المراحل الأولى لفن زخرفة الخزفيات لدى الشعوب الساوية، ولا يخفى هذا الأثر الفني على خزفيات الشعوب الساوية ، من وادي النيل، وهذا الأثر الثقافي لا يثير الدهشة والتعجب، لأن هناك علاقة وثيقة بين هذه الشعوب، إذ يُعتقد أنهم وفدوا من منطقة النيل إلى منطقة حوض بحيرة تشاد[1]. وهناك بعض الأدوات الخزفية صنعت خاصة من أجل الزينة تتميز بالنعومة، وتتمثل في الخواتم والعقود والقرون التي تلبسها النساء .

ومن خلال البحث عن الحياة الاقتصادية لشعب الساو، وجد الباحث أن الشعوب الساوية تمكنت من صهر الحديد واستخلاصه من الحجارة وصناعته وتشكيله، حسب الأغراض التي كانت مستخدمة في تلك الفترة الزمنية، مع أن هناك تأثيرات خارجية من بعض الشعوب الوافدة إلى حوض بحيرة تشاد مثل الكوشية والليبية. فقد اثبتت الكشوفات الأثرية إلى العديد من المعطيات الأثرية الحديدية التي ترجع إلى فترات قديمة [2]. وتقر أغلب المصادر التي كتبت في حضارة الساو بوصول هذا النوع من الحديد إلى البحيرة عبر مروي، كما وجدت صناعة الحديد المتوسط في منطقة (انقاما) ، أما الحديد الحديث فقد تم اكتشافه في المناطق الساوية المختلفة ، ودلت البحوث الأثرية على وجود الأفران السطحية والمشيدة لصناعة الحديد في مواقع الساو الأثرية الشمالية الشرقية، وأن أكثر المكتشفات الحديدية هي عبارة عن فؤوس حديدية وسهام ورؤوس حراب وسكاكين، وبعض الأساور

(1)- يوسف ، عبدالرحمن عيسى، نفس المرجع السابق ، ص 14 .
(2)- دافيد سون، واخرون، علم الاثار الافريقي، بـ،د ،ث ، ص 199 .

والسلاسل والخلاخل الحديدية[1]. وتميزت حضـارة الشعب الساوى، برؤوس الرماح والسنارات لصيد الأسماك والمخارز والأمواس والمحاريث، فقد عـرف عن شعوب الساو أنهم من ضمن الشعوب الأفريقية التي استخرجت الحديد . وتبين من الدراسات التي أجريت على حوض بحيرة تشاد أن نهر شاري ولوغون يحملان كميات كبيرة من شذرات الصخور الحديدية وبمستويات متفاوتة قبل التقائهما في مدينة أنجمينا ليلقيا بها في بحيرة تشاد، ولوحظ تناثر كميات الصخور الحديدية بكثرة عند مجاري الماء في قرية (ورولا) التي تبعد عن مدينة أنجمينا بحوالي (10) كيلومتر شمالاً [2].

وتتكون هذه الصخور من خمس مستويات :-

- المستوى الأول لسلسلة الصخور الحديدية العليا تمثل في الغالب سهلاً مرتفعاً أساسه دروع تكسوها تربة صلصالية، أو تكون عارية من السطح .

- المستوى الثاني من السلسلة وهي الطبقة السطحية للتربة التي تحدثها عملية التعرية مكونة عندها منحدراً هابطاً .

- المستوى الثالث هي انحدار بسيط ورقيق من الصلصال الأحمر المتكون محلياً مختلطاً بحصاء هي في الواقع البقايا المتفتتة للدروع .

- المستوى الرابع تكون منحدر الوادي وهي مكونة في معظم الحالات من الصلصال الأصفر . -

- المستوى الخامس تمثل قاع الوادي ذا الطين الرمادي أو التربة الطينية التي تتكون في البرك والمستنقعات، وبعض هذه الصخور الحديدية قد تفقدها الطبقة العليا فقداناً تاماً وتوصف بأنها مقطوعة القمة [3] .

([1])- احمد ابراهيم عباس وآخرون، مخلفات شعوب الساو الاثرية ،بحث التمكن من المتيريز في التاريخ القديم ، مقدم الى جامعة انجمينا –2008م، ص 22.

([2])- يوسف،عبدالرحمن عيسى،جذور العلاقات السودانية التشادية من انهيار مملكة مروي الى قيام دولة الساوفي حوض بحيرة تشاد من (350-700م) رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى جامعة افريقيا العالمية ، 2011م، ص 149 .

([3])-يوسف ، عبدالرحمن عيسى ، نفس المرجع المذكور ، ص 149.

وعندما تتعرض هذه الصخور لأشعة الشمس يظهر عليها الحديد وبذلك يراه الإنسان ويعرف بأن هذه المنطقة بها حديد .

استخدم الشعب الساوى حجارة الشهب ويستخدم هذا الحجر عـادة في المراحي، وكذلك حجارة أوليت وهي أغلب أنواع الحجارة المكتشفة في مواقع الشعب الساوى الأثرية .

أن معرفة صناعة الحديد في السودان الغربي وفي أفريقيا الوسطى تعود إلى أصول نيلية وشمال أفريقيا منذ حوالي 500 سنة قبل الميلاد، حيث تمكنت المجتمعات الأفـريقية القديمة من تطوير وتسخين المعادن [1] ومعرفة درجة الحرارة العالية التي تؤدي إلى صـهر الحـــديد، وتتميز أكثر المناطق في غرب أفريقيا بوجود كميات كبيرة من الحديد،كمنطقة (نوك) بهضبة جوس بنيجيريا جنوب بحيرة تشاد، وهذه المنطقة من ضمن مناطق انتشار الشعـوب الساوية في السودان الغربي قديماً .

والخـــلاصة أن الشعوب الساوية برعت في تقنية صناعة الحديد التي اكتشفتها منذ قديم الزمان، وأضاف المهاجرون الجدد إلى المنطقة تقنيات جديدة ومتنوعة في صناعة الأدوات الحـديدية، ويبدو أنه في فترات لاحقة دخلت على المنطقة تأثيرات حضارية ذات تقنية صناعية حديدية من منطقة شمال أفريقيا، وظلت منطقة تبستي منطقة تأثير على حضارة حـوض بحيرة تشاد منذ هيمنة الساو على المنطقة إلى سقوط آخر منطقة من مناطق تشاد في يد الاستعمار الفرنسي عام 1911م .

وقد تم اكتشاف معالمهم الحضارية في جزء من أقصى الشمال الشرقي من ميدوغري حتى حدود الكاميرون، أضف إلى ذلك أن الشعب الساوى تعلم صهر الحديد واتخذ منه أسلحة سواء كان من النحاس أو البرونز أنظر شكل (4).

([1])-يوسف ،عبدالرحمن عيسى ، مرجع سبق ذكره ،ص ص 152-153 .



شكل رقم (4) يمثل الأسلحة البرونزية

عدسة الباحث ، المصدر : المتحف الوطني بأنجمينا

كما عرف الساويون صناعة الفخار بمهارة، انظر الشكل (5) وكانت لهم مهن كثيرة، فكل المواقع السكنية لشعب الساو محاطة بالطين، وتقام بالقرب من المجاري المائية، وهي بارزة ومميزة بساحات واسعة مغطاة بشققات من الفخار والخزف[1].



شكل رقم (5) يمثل صناعة الطين

عدسة الباحث ، المصدر : مدينة قاوي الأثرية

الخلاصة ، إن تطور الحياة الاجتماعية حول حوض بحيرة تشاد تبدأ بحضارة الشعب الساوى، وكان هذا الشعب بارزاً في مجال الفنون المختلفة وظلت حضارته قائمة إلى أن ظهرت مملكة كانم

(1)- كي زيربو ، جوزيف، تاريخ افريقيا السودان ،سلسلة دراسات افريقية(10) ترجمة د/ عقيل الشيخ حسين،ط1،الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، 2001م، مصراتة، ص 91 .

في جزء منه، وبشكل عام فإن تاريخ الحياة الاجتماعية لشعب الساو غير واضحة المعالم قبل الفتح الإسلامي لشمال أفريقيا ووصوله إلى حوض بحيرة تشاد.

ويعتبر الشعب الساوي أقام حضارة متطورة حيث تميزت بـــعدة أشياء مثل الأوعية والجرار والأقنعة، وتماثيل صغيرة وقطع نقود مختلفة الأحجام، وقد أعطت هذه الخاصية إقتران حضارة الساو (بحضارة الفخار) وكان الحرفيون في الساو، يصنعون أيضاً الحلي والأساور والعقود من البرونز مستخدمين في ذلك تقنية الشمع كما في الشكل رقم (6).



شكل رقم (6) يوضح عملات مختلفة الأحجام

عدسة الباحث ، المصدر : مدينة قاوي الأثرية

وعثر علي آثار سبائك من الذهب والفضة والخواتم وسبح مصنوعة من الطين كما في الشكل (7)، بقرية قاسي جنوب مدينة أنجمينا، بعد أن جرف تيار نهر شاري، مقابر الجرار، وتحطمت تحت

شجرة كبيرة كانت اتخذت مقر استراحة في تلك المنطقة، ومن ذلك عرف الكثير عن أساليب الحياة الصناعية عند الشعوب الساوية، وكان ذلك في عام 1988م [1].





شكل رقم (7) يوضح سبائك الفضة

عدسة الباحث ، المصدر : المتحف الوطني بأنجمينا

تتميز حضارة الشعوب الساوية بصناعة الأدوات الطينية والتي تعرف بلغة الكوتوكو بـ (مشيلي) رسيما عند شعب مدينة (قـاوي)، حيث أن أدوات الطين المحروق، يكون الجزء الأكبر منها من

(1)- تنقو، أحمد صالح ، أضواء على تاريخ السودان من داكار إلى بورتسودان ، جـ1 ، ط1، 2011م ، شركة السودان للعملة المحدودة ، الخرطوم.

الأعمال الأثرية، و كثرتها على حسب الأحجام المختلفة يظهر لنا التقدم الفائق في التنمية الصناعية، خاصة فن الخزف الذي استعمل في صناعة الأدوات المختلفة، فأنواع الطين المحروق الكثيرة جداً لا يمكن فصلها عن الأدوات المنزلية، و استعمل الطين بشكل شبه دائم في أنشطة الحياة الدينية، والأشياء المصنوعة عادة ، تكـون طبيعية وبطريقة فنية جميلة، مما يمكننا القول أن صناعة الخزف كانت التقنية السائـدة بالنسبة للإنسان القديم هي الاستخدامات اليدوية ، انظر الشكل (14) ، سكان الأراضي المنبسطة، وأن الشعب الساوى من الشعوب التي تسكن الأراضي المنبسطة والتي عاشت في مثل هــذه الأراضي وأقامت حضارة باقية إلى يومنا هذا شاهدة على مر العصور[1] .

ولذا نجد القليل من الأنشطة انتشرت بدون تدخل للأدوات المصنوعة من الطين المحروق كالأواني والمرمدة والجرار التي تستعمل لحـفظ الأدوات أو لحفظ الماء والكـؤوس، والتماثيل البشرية والحيوانية وغيرها من الأدوات التي تم العثور عليها خلال التنقيب الأثري لمواقع الشعوب الساوية المختلفة[2] .

---

(1)- Jean paul et annie Lebeuf. Et amaisson detourbe T.Laciulisation du Tchad.1950.Paris p 98.

(2)- Jean paul et annie Lebeuf. Les Art de Sao cammeroun(Tchad) des edition du chene. Paris .1977. p 46.



شكل رقم (14) عدسة الباحث ، صورة لمجموعة مزهريات فخارية تستخدم لتبريد الماء

متحف مدينة قاوي الأثرية

إن من أبرز خصائص الشعوب الساوية بالمنطقة هي صناعة المواد الخزفية من الطين المحـروق، وهذا النوع من الطين الأسود الصلب، يستخرج غالباً من مواقع خاصة خارج مـدن الساو، وهي عبارة عن حفرة غير عميقة عادة، وقد عايش الباحث هذه الحالة ميدانياً [1] حيث شاهد هذه الحفر بنفسه، ومن أهم المدن التي أشتهرت بصناعة المواد الخزفية هي (قـاوي)، إذ نجد في مدينة قـاوي والتي تنقسم إلى أربعة حـارات ولكل حـارة موقعها الخاص بها والذي يستخرج منه الطين، وغالباً ما تقوم النساء بهذا العمل ، حيث يقتلعن الطين من مكانه ومن ثم يحملنه إلى البيت وذلك من أجل تحضيره، ويجمع الطين على شكل أكـوام، ثم يضعنه على الماعون المعد لصناعة الأدوات، منها جرار دفن الموتى ،وعاء الأكل ، ألعاب أطفال مختلفة، عملة، سلاسل، غليون التدخين ، الثقل الذي يوضع على الشباك، الأداة التي توضع عليها الجرة، وتماثيل بشرية وحيوانية، وأدوات طقوسية ، وحتى أنهم صنعوا منه الجلجل (عبارة عن جرس مصنوع من الفخار) ورؤوس النشاب ، وقدوح ،

(1)- الدراسة الميدانية – يوم السبت 2011/02/30م .

وغيرها من الأدوات ذات الاستخدامات العامة والخاصة، كما يثقل الصيادين شباكهم بطوب ثقيل حيث أن البعض يكون قريباً من حبل الزهور أو يكون بأثقال مصبغة، ومجموعة هذه الأدوات والآلات على الرغم من تنوعها [1] إلا أنها تشير إلينا بوحدة العلاقة الثقافية بين العصور القديمة والعصر الحديث .

وهذا فعلاً ما عاشه الباحث أثناء الدراسة الميدانية [2] للمنطقة، وهنا يمكن أن نسجل تطوراً بالنسبة لزيادة الإنتاج الحالي لمجموعة هذه الأدوات والآلات . إلا أنه لا توجد هناك ورشة عمل مما تسبب في اختفاء الكثير من فخار الساو، وحتى البعض التي عثر عليها كانت شبيهة بالصناعات الحالية لشعوب الكوتوكو أحفاد الساو بحوض بحيرة تشاد .

إن تقنية صناعة الأدوات الخزفية تعبر عن مدى تحضر الشعوب الساوية في تلك العصور السابقة ، فهي تعبر عن حياة هؤلاء الساويين لمعرفتهم لكثير من أنواع الفنون الصناعية، ولأن الطين يستحضر من مواقع خاصة خارج المدن الساوية، لصنع الأدوات المختلفة، فإن اختيارهم لهذه النوعية منه يعبر لنا عن مرحلة التطور الذي وصله شعب الساو في ذلك العصر .

وفي مدينة قاوي التي ما زال شعبها يصنع الجرار، نجد أن الطين الذي تُصنع منه الأدوات، يستخرج على شكل حجر طوبي،[3] ويتم وضعه على الفرن حتى يحرق ويتحول إلى طوب أحمر اللون،وبعد ذلك يحملنه النساء إلى مكان صناعتهن (قريباً من البيت)، وتقوم النساء الصانعات بوضع الطين في الفندق (مهراس) وهو عبارة عن (مطحنة تقليدية) ويضربنه بالعمود، وهذا العمود مصنوع من شجرة (الهجليج)، وهي شجرة معروفة لدى الشعب التشادي والسوداني، والفندق الذي يدق فيه قد يكون من نفس الشجرة أو من شجرة ذات جذع كبير . حتى يتحول إلى طين ناعم، وبعد ذلك يصفى منه

([1])- زكريا، حسن قاسم، الصناعات الخزفية في قاوي ، بحث مقدم لنيل درجة التمكن المتيريز في التاريخ القديم ، جامعة انجمينا، 2004م ، ص 19 .

([2])- الدراسة الميدانية و يوم الثلاثاء 2011/02/20م.

([3])- السيدة حواء محمد، مقابلة شخصية اثناء الدراسة الميدانية بمدينة قاوي بتاريخ 2011/01/10م.

الرمال،انظر الشكل (15) ثم يوضع على ماعون خاص به ، ومن ثم تقوم الصانعات بتحضير الطين الغير محروق، ويسمى هذا الطين (اميزا) بلغة الكوتوكو ، وتضعه النساء على إناء به ماء، وتتركه لفترة حتى يبل، وبعد ذلك تقوم النسوة بتعجينه لكي يتماسك وتضيف إليه بعر الأبقار، و شئ من الطين الناعم المحروق، وذلك بمقياس واحد حتى لا تزيد الكمية أو تنقص، لأن كـــلا الأمرين يؤديان إلى تشقق الجرة أو الأداة، وكـان بعر الأبقار يعطي الجرة القوة ويحميها من التشقق، وبعد انتهاء هذه العملية، يحضرن حصيراً نظيفاً، فيقطع الطين ويفرش على هذا الحصير على شكل قطع لمدة دقائق قليلة من الزمن، وفي خلال هذه الفترة يكون هناك نصف جرة جاهزة الصنع (أي الجانب السفلي من الجرة)[1] فيطوى عليه الطين ويترك لفترة أسبوع في الشمس، ثم يرفع منه مشكلاً الجزء السفلي للجرة، وتحضر الصانعات إناء دائري الشكل مصنوع من الطين المحروق فيضعن عليه هذه الجرة، ويوضع بداخلها الكنفوت ، وهو عبارة عن قشرة بذور الغلال التي تستخرج بعد عملية دق الغلال في المهراس ، ثم تأخذ المرأة الفنانة ذات الخبرة الطويلة في هذا المجال، الطين وتجعله شريط طويلاً كالحبل وتلصقه بالجرة وتتابع به جميع أطراف الجرة، وهكذا حتى إذا وصلت به إلى عنق الجرة تتركه لكي يجف خلال ساعة وبعد ذلك تستمر في عملية الصنع حتى يكتمل عنق الجرة بنفس الطريقة، وتشترك في هذه الصناعة العائلة والأخوات والرفيقات، و تعتبر تلك العملية ملتقى لمعظم ساكنات القرية ولتبادل خبراتهن في هذه الصناعة .

(1)-زينب عبدالرحمن ادم وعرفة عثمان صالح،دراسة مقارنة لاثار الساو بين موقعتي قاوي ومدقا، بحث مقدم لنيل درجة التكمن المتيريز في التاريخ، جامعة انجمينا ، 2003م ، ص 21 .



شكل رقم (15) عدسة الباحث ، المصدر قرية قاوي الأثرية

صوره لأمراتنان تقومان بدق الحجر الخشن



شكل رقم (16) يوضح كيفية تحضير صناعة المواد الفخارية

عدسة الباحث ، المصدر : مدينة قاوي الأثرية

تميزت صناعة الشعب الساوى وأحفادهم الكوتوكو من بعدهم ، وخـاصة جرارهم بزخرفة جميلة ومتنوعة، وذلك في أغلب مدن الساو، حيث تختلف نوعية الزخرفة والإبداع من مدينة إلى أخرى وقد تتشابه.

أما مدينة قـاوي والتي تميزت بموقعها الاستراتيجي المتميز، فإنها تجمع كثيراً من أنـواع الجـرار والزخرفة، فالأشكال الناتئة بمعنى البارزة ، وهي عبارة عـن خطوط تجعل الزخرفة عبارة عن مربعات صغيرة، كانت قليلة الاستعمال، بينما نجدها تكثر في بعض المــدن الساوية مثل مدينة (مدقا) وفي كثير من المدن الساوية التي أجريت فيها بعض البحوث، أنواع مختلفة من الديكور، فمثلاً (التخطيط المجوف) في معظم المدن التابعة للساو، وهو عبارة عن خطوط عميقة تتصاعد وتنزل وهي متشابكة، أو مستطيلة أو مخروطة يوجد أحياناً بموقعة مدينة قـاوي بقلة بينما يكثر في كل من (ولكقن) التي تقع شمال الأراضي الكاميرونية، وعلى الضفة اليمنى مــن نهر (سربوال)، و(انفالا) التي تقع بشمال نيجيريا، وهي من ضمن إمـارات الساو سابقاً، [1] أما التشكيل عــن طريق نقط الأرز فتتواجد في مدينة قـاوي ومنطقة (مديقي) و(مـارا) ومنطقة (تاقو) ، ويكون هذا التخطيط عبارة عن نقط متوازية ومتقاربة، وتتواجد تشكيلة الشقوق البسيطة أو المكررة في مدينة قـاوي، وغلفي وديروت واليو، كما أن مدينة قـاوي تتميز بتشكيلة الخطوط المضعفة .

إذاً نستنتج مما سبق أن صناعات الخزف وأنـواعه المختلفة وفن الزخرفة، تختلف في الأدوات والجرار وفن الزخرفة في تشكيلها من مدينة لأخرى، وهذا أن دل على شئ فإنما يدل علي تعـدد الشعوب الساوية والتي عاشت وسكنت حول حـوض بحيرة تشاد، إذ أن البحيرة استقبلت العديد من الشعوب الوافدة إليها نظراً لتوفر سبل الحياة المناسبة والمساعدة على ذلك ، وأن أقدم هذه الهجرات من الشمال والشرق، وبالتالي يكون لهذا الأمر أثره الفني في المنطقة بأكملها خاصة في صناعة

(1)-زكريا، حسن قاسم، الصناعات الخزفية في قاوي ، بحث مقدم لنيل درجة التمكن المتيريز في التاريخ القديم، جامعة انجمينا ، 2004م، ص 23 .

الخزف وزخرفته التي نجدها تتنوع من منطقة لأخــرى، فالصناعات الخزفية متنوعة بصورة واسعة في المدن الساوية ، وتعتبر صناعة مدينة قـاوي من أجود الصناعات الخزفية ، خاصة صناعة الجرار حتى في الوقت الحاضر وقد تم تجميع معظم المكتشفات الفخارية بمتحف مدينة قـاوي والمتحف الوطـني بمدينة أنجمينا .

برع الشعب الساوى في مجال الفنون، فصنعوا من الطين المحروق والبرونز والنحاس والحـديد، تماثيل بشرية وحيوانية وجرار وأساور وحلي وغيرها من الأدوات ذات الاستخدامات المختلفة في حياة الشعب الساوى.

و اتخذ الساو الأواني الفخارية الضخمة لدفن موتاهم، حيث كانوا يدفنون بجانبهم أدوات من الحلي والزينة .



شكل رقم (17) يوضح جرار فخارية استخدمت كتابوت لدفن الموتى

عدسة الباحث ، المصدر : مدينة قاوي الأثرية

وقد اكتشفت أدوات بشرية مصورة صنعت [1] من الطين المحروق وذلك بمنطقة (فالي) وكذلك عثر على تماثيل حيوانية، ومصنوعات أخرى مختلفة المظاهر والأساليب، كانت تمثل ارتباطاً بتصورات اعتقادية ، منها الهياكل المقنعة الشكل ، وتماثيل طينية صغيرة الحجم، وكـانت هذه المكتشفات تعود لشعب الساو.

عرفت منطقة حوض بحيرة تشاد بالسكان القدماء وبرز منهم العماليق، فحملت الحضارة التي أقيمت في هذه المنطقة اسم الشعوب الساوية، الذين قدموا مـن الشرق والشمال والغرب وانتشروا بحوض هذه البحيرة واقاموا حضارات عريقة عرفت بهم منذ قديم الزمان، وامتاز الشعب الساوى ببناء المدن والصناعات المختلفة كالبرونز والحديد والنحاس وصناعات الفخار والمناظر الجميلة لصور الحيوانات وفنون صناعة رؤوس الكباش من الفخار، وقد خلفوا المباني المحاطة بالأسوار الضخمة والعالية جـداً، حيث بلغ ارتفاع بعضها حوالي عشرة أمتار تقريباً، والأواني والأثاث والقدور الفخارية الكبيرة ذات الأحجام المختلفة، والثقيلة الوزن، والتي أثبتت التنقيبات الأثرية أنهم استخدموها لدفن موتاهم، حيث عثر بداخلها على بقـايا عظمية لأحد الموتى وبجانبه شئ من أدوات الزينة وبعض الحلي التي كانت مستخدمة فـي الحياة ، وأن صناع الفخار كانوا ذوي خبرة مميزة منذ زمن بعيد يرجع إلى بدايات القرن الخامس قبل الميلاد، وذلك بمدينة (دايما) وفي القرن الثاني قبل الميلاد في مدينة (مدقا). ومن فنون الساو الصناعية، كذلك التماثيل البشرية القليلة والكثيرة التنوع، وقد تفننوا في صناعة فـــرس النهر والهياكل المغطاة بالجز[2] والشقف الطويلة والضرعيات البحرية ولوحات من البرونز كالقلادات والأشكال الحيوانية ذات الأحجام الصغيرة والجميلة ، ورأس الغزالة وقـرون طويلة حلقية حسنة التصنيع . وتعـــد الزخرفة عند الشعوب الساوية ظاهرة جميلة وواضحة حتى في أدواتهم

(1)- عثمان، احمد عثمان ، اثر الهجرات البشرية القديمة في قيام حضارة الساو، دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ والحضارة، جامعة الملك فيصل–2005م ، ص ص 42، 45.
(2)- طرخان/ابراهيم علي،امبراطورية برنو الاسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة ، 1975م،ص 22.

المستخدمة، وهي في معظمها مغطاة بتزيينات متنوعة توجد على شكل شقف صغيرة وتماثيل بشرية، وأن لكل جهة فن زخرفتها الخاص بها دون غيرها في معظم الحالات ، وأشتهر الشعب الساوى ، بالطقوس الجنائزية المعقدة، وكذلك من أبرز خصائص حياتهم الاجتماعية هو سمو النساء حتى كان لهن نفوذ كبير في حكوماتهم، وخاصة في الشــؤون الإدارية (إدارة شؤون الحكم أثناء فترة غياب السلطان عن البلاد)، وأن الكوتوكو هم ورثة الشعب الساوى الفعليين لهذه الحضارة الساوية ، وإن هؤلاء دخلوا الإسلام منذ القرن الثامن عشر، وقد أقام الشعب الساوى إمارات مزدهرة على ضفاف نهري شاري ولوغون، وفي نفس الوقت هي مقامة على أنقاض مدن الساو. وضع الساويين مواعين وأدوات من البرونز والنحاس، ويبدو من صناعاتهم أن صياغيهم وصاهري الحديد عندهم كانوا حدادين يعملون بالحديد، وليس هذا فحسب بل كل شئ يشير إلى أصولهم الشرقية في حضارتهم، وتشير إلى ذلك مدنهم في جنوب البحيرة وطريقتهم المعقدة في دفن الموتى، وكذلك فخارهم المتقن الكثير الأنواع وصناعتهم الفنية الأخرى من الطين وأشكال آلهتهم .

وقــد وجدت بعثات التنقيب التي قادها لوبييف (LEBEUF) عدداً كبيراً من التماثيل الصغيرة، والأقنعة من الصلصال المشوي ، وحلياً من البرونز، وتدل هذه الأدوات على المهارة العالية التي مارسها الشعب الساوى، وذلك في معالجة المعادن . كما تشهد القطع الصلصالية منها على مهارة فن المزج والتركيب ، حيث تبين لنا مدى درجة الإبداع الذي أدى إلى إنتاج هذه الرؤوس المليئة بالحياة. خلّف أبناء الشعب الساوى مجموعة كبيرة من الخزفيات المحروقة، كما خلفوا لنا تماثيل تعبر عن قبائلهم ، فتلك الصفات وجدت لدى شعب (Laobes) وهو جزء من الشعب الساوى عندما تعرضت ثقافتهم للدمار نزح إلى مناطق مختلفة من حوض بحيرة تشاد، وأسفرت تلك التنقيبات عن العثور على بعض الغليونات التي تستعمل للتدخين، وأكواب صغيرة وأواني خزفية وتماثيل بشرية، وأن المعادن كانت عبارة عن أدوات من الحديد مثل المجراف وأسنان السهام ورؤوس الحراب

والسكاكين، كما وجدت فيه بعض الأدوات المصنوعة من قرون الثيران والغزلان . كما تميزت الشعوب الساوية ، بصناعة الخزفيات، وفي كل المناطق التي نشأت فيها دولتهم، وهناك العديد من المواد الخزفية استعملت لطبخ الطعام ، وكذلك صنعت منها أكواب لشرب الماء وزخرفت بألوان منها اللون الأبيض والأسود لزخرفة الأواني الخزفية، كما استخدمت المواد الطينية لصناعة الجرار التي يدفن فيها الأموات[1] .

التجارة :

كان النظام الاقتصادي لـــدى الساو يقوم على التبادل التجاري وإنتاج بعض المحاصيل الهامة، ولم يذكر في تاريخهم الاهتمام بنظام المقايضة الذي كان منتشراً في المناطق الأفريقية، حتى لفترات قريبة، إلا أنه من الملاحظ فيه أنهم لم يستخدموا أي عملات نقدية محلية غير الذهب والفضة والملح وعملات الطين المحروق [2] أنظـر شكل (3) ، وتعد منطقة البحيرة التي احتضنت حضارة الساو منطقة متنوعة البيئة، فيها صحراء ومجاري مائية وغابات، ففي المناطق الصحراوية عرف الجمل الذي يعد وسيلة مهمة في التنقل والتجارة بين مختلف المناطق، [3] وحول المجاري المائية عرفوا الزراعة التي تمثل مصـدراً رئيسياً من مصادر العيش والتجارة، وقد دلت معلومات أثرية على أنهم كانوا يزاولونها منذ القرن الخامس قبل الميلاد، ومن ناحية أخرى فقد مارس الشعب الساوى صيد الحيوانات والأسماك [4].

([1])-يوسف، د .عبد الرحمن عيسى،جذور العلاقات السودانية التشادية من انهيار مملكة مروي الى قيام دولة الساوفي حوض بحيرة تشاد من (350-700م) رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى جامعة افريقيا العالمية ،2011م،ص ص 147-148 .

([2])- ايوب ، / محمد صالح ، نفس المرجع السابق، ص 52 .

([3])- كي زيربو ، جوزيف ، مرجع سبق ذكره ، ص 93 .

([4])- الدكو/فضل كلود، الثقافة الاسلامية في تشاد في العصر الذهبي لامبراطورية كانم من (600-1000هـ / 1200-1600م) ط1 ، منشورات الدعوة الاسلامية ، طرابلس - 1998م، ص 53 .

وكذلك عرف الساو مختلف أنواع الصناعة، ونلاحظ في المخلفات التي تركوها، وقد درست في قسم التعدين بمختبر البحث للمتاحف بفرنسا التابع للشؤون الثقافية، حيث حللت بعض المخلفات الأثرية التي منها أسورة وخواتم وبقايا لتذويب الشموع وتماثيل متعددة وغيرها، وهي تصنع من مــواد ومعادن مختلفة، منها برونزية ونحاسية وحديدية، إضافة إلى أنهم يمتلكون عملة نقدية مصنوعة من الطين المحروق.



شكل رقم (3) يمثل عمله الطين المحروق

عدسة الباحث ، المصدر : المتحف مدينة قاوي

وتشير بعض المصادر إلى أن الشعوب الكوشية والليبية، قد عرفت فنون الذهب والنحاس والبرونز قبل أن تعرف الحديد، ومعرفتهم لهذا المعدن الأخير، بدأت بالمبادلات التجارية الأولى عبر الصحراء، حيث كانوا الجرامنتيون يزاولون هذه التجارة المربحة، ولم تكن الصحراء يوماً عائقاً بين تواصل الشعوب القديمة خاصة بين الشمال الأفريقي والجنوب، إذ انتقلت من واحة أوجلة جنوب ليبيا وواحة سيوه في مصر هذه الصناعات الحديدية إلى قبائل التـبو في تبستي . ودرت تجارة الحديد أرباحاً هائلة لشعوب المنطقة حتى أنها امتدت إلى مناطق غرب البحيرة، حيث أشارت بعض المصادر عـن العلاقات التجارية المتبادلة بين منطقة تشاد ونيجيريا والنيجر ، خصوصاً في المواد الحديدية المختلفة، وأن تجـــارة الحديد في منطقة حوض بحيرة تشاد قد انتشرت بصورة كبيرة في تلك الفترة الزمنية، وعليه فقد تم اكتشاف حديد الشعوب الساوية ، الذي يحمل نفس التقنيات الساوية في منطقة الكونغو سابقاً والمسماة حاليا زائير وعاصمتها كنشاسا ، وكان يعـود إلى القرن الخامس الميلادي، ويبدو أنه وصل من المناطق التشادية الوسطى [1] عبر (قيرا) ، وقد انتشرت تجارة المواد الحديدية من السودان الشرقي عبر مروي حتى منطقة السودان الغربي والأوسط . ومع اتساع نطاق استخدام الحديد ظهرت عملات حديدية في منطقة (باقرمي) ، قد ساهمت في دفع التجارة بالمنطقة بشكل جيد، وشملت بقية حوض بحيرة تشاد بصورة عامة، فقد استخدم السكان عملة لوغو والتي كانت منتشرة في بلاد السارا جنوب البحيرة، وقد تبادلت منطقة حوض بحيرة تشاد تجارياً بعملتين جديدتين عرفت الأولى باسم (الكلولي) والأخرى أشبه ما تكـون بأدوات الزراعة، وانتشرت هذه العملة في بلاد السارا بصورة واسعة[2].

([1])- Davidson ,B:Lagedufer En Afrigue Central Est Esgrissed,Une Heppothe Bullde La Taculte Des Lettres Shos Louge. 1964 Mars ,.P 51.

([2])- دافيد سون ، افريقيا القديمة تكتشف من جديد، ترجمة نيل بدر ، وسعد زغلول ، القاهرة ،الدار العربية للنشر ، القاهرة ، ص ص 30-31 .

ويدل على ذلك إتقانهم للصناعات البرونزية،وتتمثل في صناعة التماثيل البشرية والحيوانية، وأدوات الزينة التي تتمثل في الأختام والخروز وأسورة اليد التي تكون عادة مزخرفة بشكل بارز، يُظهر بعضاً من الخطوط، وأخرى ملتوية ومقوسة أحيانا، وهي مزينة بعدة أشكال هندسية .[1]

كما أن هناك بعض من أنواع الحلي لا يمكن أن تقترضها أية امرأة أخرى نظراً لقيمتها العالية، وقد وجدت سلاسل أصلية من المعدن بشكل متماسك مع بعضها البعض، وتعلق فيها أحياناً قرون بعض الحيوانات، و تسمح طبيعة السبائك بأن تعطى لهذه الحلي صفة نسائية، إذ تعلو أزراراً مما يشكل تجميلاً للصدر .[2]

أما الأساور المصنوعة فقليلة جداً ، وهي على شكل دوائر بسيطة مزدوجة، وأدوات زينة على شكل (V).

تلك هي نتائج التنقيبات عن المصنوعات النحاسية في المناطق التي عاش فيها الشعب الساوى قديماً .

([1])- يوسف ،عبدالرحمن عيسى ، مرجع سبق ذكره ،ص 154 .
([2])-يوسف ،عبدالرحمن عيسى ، مرجع سبق ذكره ،ص 156.

المبحث الثالث

أثار الساويين في مدينة قـــاوي

أثار الساويين في مدينة قـــــاوي:-

الشعوب الساوية ليست شعباً واحداً وأنما هي عبارة عن مجموعات من شعوب مختلفة جمعتها حضارة واحدة تحت مسمى (الشعــوب الساوية) بحوض بحيرة تشاد سابقاً ، [1] والآن خلفهم أحفادهم الكوتوكو الذين ورثوا حضارة الشعب الساوى بالبحيرة .

ونستنتج مما سبق أن الشعب الساوى ، لا تربطهم روابط قوية ، إذ نجد العديد من المجموعات تعيش لوحدها ، وخير دليل على ذلك الأماكن الأثرية المنتشرة ، التي خلفوها ورائهم سواء أكانت في تشاد أو الدول المجاورة .

منذ عقود طويلة والحفريات الكشفية تتوالى في بحيرة تشاد بحثاً عن المخلفات الأثرية الفنية، وأن هذه الآثار يرجع تاريخها إلى الألف السادس قبل الميلاد،عــدا الرسوم والنقوش العديدة، والتي تعد من أجمل الروائع الفنية خاصة في إنيدي وتبستي ، حيث جعلت من هــذه المناطق متاحفاً طبيعية لفنون ما قبل التاريخ، فقد وجدت مجموعة أثرية من الفخار ورسوم متعــددة ومنحوتات وبرونز وحديد، ومن المؤكد أن سكان هذه المنطقة مثلوا نوعاً أصيلاً أكثر من كونهم قادمون من مكان أخر لحـوض البحيرة [2].

ويبين الاختلاف الفني بين تصاوير الراقصين المقنعين ورسومات الأسلاف مثلاً الاستعمال الجيد والصناعة المتقنة في رسوماتهم، وعلى الرغم من غنى المادة المنسوبة إلـى الشعب الساوى ، والتنوع الكبير في الآثار المصنوعة من الفخار في مقارنتها مع مكتشفات إنيدي وبركو توضح مدى العلاقة بين المرحلتين.

([1])- طرخان /علي ابراهيم، امبراطورية برنو الاسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة -1975م ، ص 22 .

([2])- دافيدسون ، واخرون ، علم الاثارالافريقي ، Tchad 25000 ans.

فالتماثيل البشرية المحددة فقط في الرأس، هي أكثر عدداً وأكثر تنوعاً، وهي تنطلق صناعياً من الرأس، بحيث تتركز المهـــارة في شكل الرأس المستدير[1]، وقد تم اكتشافها في نـوك بنيجيريا. وكان أغلبها مدبباً في مواقع تشاد ، ومخروطياً في تماثيل منطقة ساو بالكاميرون.

أوردت روايات المؤرخين أن السند الأول الذي اعتمد عليه الشعب الساوى، في اقتصادهم هو الصيد البري مثل الفيل والجاموس والزراف والتيتل ووحيد القرن، والصيد النهري مثل فرس النهر والأسماك بأنواعها .

وأن صيد الأسماك على وجه الخصوص سمح لإعداد كبيرة من السكان القدماء بالبقاء على مدى فترات طويلة في مواقع منفردة في هذه المنطقة ، أي منطقة البحيرات جنوب الصحراء. حيث كانت الشعوب الساوية كغيرها من الشعوب التي اعتمدت على استعمال الحجارة ســواء للصيد أو لغيره، وقد دلت على ذلك المعطيات الأثرية التي تم العثور عليها من خــلال التنقيبات التي أجريت على المناطق التي سكنها الساو ، حيث شكك بعض الباحثين الأثريين حول إستخــدام الساو لهذه التقنيات، مما جعلهم يطلقون عليه عصر ما قبل الساو .

وبرغم هذا التشكيك فقد وجدت العديد من أدوات الصيد في نفس المناطق التي قامت فيها حضارة الساو، و تم العثور على فــؤوس ورؤوس سهام استخدمها الشعب الساوى في الصيد ، وبعض من السنارات التي اعتمد عليها الصيادون سواء كانت من العظام أو الحديد، أما رؤوس الحراب المصنوعة من العظام فهي تشبه الآلات المبتكرة التي وجدت في حضارة الخرطـوم. واستمر صيد الحيوانات البرية حتى شمل الأبقار التي تعتبر مدجنة ، ويقول سوتــون إن أدوات الصيد قد تشير

(1)-ارشيف المتحف الوطني ، الاثار في تشاد.

إلى حضارة موحدة قائمة على أساس استغلال الموارد المائية في منطقة جنوب الصحراء في البحيرات ووادي النيل [1]. أنظر الشكل رقم (2).



شكل رقم (2) يوضح حربه حجرية استخدمها الشعب الساوى في اصطياد الحيوانات

المصدر : المتحف الوطني بأنجمينا

ونستنتج من ذلك أن الشعب الساوى، كان يمتلك ثروة اقتصادية كبيرة تتمثل في الزراعة والأسماك، إضافة إلى الحديد والمصنوعات الفخارية المختلفة والمعــادن (الحديد، النحاس) ، بالإضافة إلى خبرات الشعوب الوافدة إلى حوض بحيرة تشاد، خاصة القادمة من وادي النيل والشمال، فكانت تأثيرات حضارية بالغة الأهمية في قيام حضارة الشعب الساوى.

للساو وجود في نيجيريا ، وهم الأصل لكثير من أعمال النحت والتماثيل كما في الشكل (8) ، وتعد حضارة الساو رائدة في مجال النحت والتماثيل وهي تحمل في طياتها ما يشير إلى أصول كوشية واضحة، وقد قدمت أسلوباً جديداً في تصميم تماثيل لرؤوس خراف مقدسة من الفخار والبرونز، ولعلها هـي التي أشاعت في مجتمع كانم القديمة فكرة تقديس جبل الحديد المعروف بـ (دالا) .

([1])- علي /جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام،جـ2 ،طـ2 ، نشر بمشاركة جامعة بغداد ،1993م، ص605.



شكل رقم (8) يوضح التماثيل

عدسة الباحث ، المصدر : متحف مدينة قاوي الأثرية

ويبدو أنهم وصلوا منطقة حوض بحيرة تشاد في القرن الثامن الميلادي .

ومن فنون الشعب الساوى التماثيل البشرية القليلة والكثيرة التنوع، وكذلك لوحات مـــن البرونز كالقلادات وخرص الأذن والأزرار ودبوس مزخرف كما في الشكل (9) ، ومشاهد الألعاب الرياضية وفنون رؤوس الكباش المصنوعة من الفخار، وكان صناع الفخار ذوو خبرة جيدة منذ زمـن بعيد يرجع إلى بداية القرن الخامس قبل الميلاد [1] وذلك بـ (دايما) وفي القرن الثاني قبل الميلاد في مدقا.

(1)- Lebeuf .J.P :Afchelojie Tchadienne, Les Sao du Cameroun et du Tchad, herman, 1962paris , p 75.



شكل رقم (9) يوضح لوحات من البرونز

عدسة الباحث ، المصدر : المتحف الوطني بأنجمينا

وكذلك عرف الساو مختلف أنواع الصناعة ، ونلاحظ ذلك في المخلفات التي تركوها ، وقد درست في قسم التعدين بمختبر البحث للمتاحف بفرنسا التابع للشؤون الثقافية ، حيث حللت بعض المخلفات الأثرية التي منها أسورة وخواتم وبقايا لتذويب الشموع وتماثيل متعددة وغيرها ، وهي تصنع من مــواد ومعادن مختلفة ، منها برونزية ونحاسية وحديدية ، إضافة إلى أنهم يمتلكون عملة نقدية مصنوعة من الطين المحروق.

وتدل الآثار الساوية التي اكتشفت أن هناك أواني فخارية كانوا يعدونها لتخـزين المياه أو لحفظ الغلال ، وأما الحفريات الأثرية الحديثة ، فقد خضعت بعض منها لدفن الموتى وهي تعتبر عندهم بمثابة تابوت ، وقد أعطت هذه الخاصية لحضارة الساو اسم حضارة الفخار . وإن من آثـار الشعب الساوى بمدينة قـاوي ظاهرة الشوارع الضيقة ، فالذي يزور هذه المدينة يشاهد ذلك من

خلال تنقله في شوارعها ، كما يلاحظ أن تخطيط هذه المدينة من الناحية الهندسية ، أن منازلها ملتصقة ببعضها البعض ، وهي مبنية بالطين الأخضر، أي من دون حرق الطوب الذي بنيت به ، وأن ارتفاع هذه المنازل لا يزيد عن أربعة أمتار من الأرض وأن السقف مغطى بجذوع النخيل والأشجار ذات الأحجام الكبيرة ، ثم الطوب الأخضر من فوق ثم يطلى بالمونة [1]. شكل رقم (10) يوضح نماذج من المنازل والشوارع في مدينة قاوي.



شكل رقم (1.10) شكل رقم (2.10)

(1)- زيارة ميدانية قام بها الباحث بتاريخ السبت 2011/03/21م .



شكل رقم (3.10) يوضح مدينة قاوي الأثرية

عدسة الباحث ، المصدر : مدينة قاوي الأثرية

وتعتبر شوارع المدينة ضيقة جداً بحيث لا تزيد سعتها عن مترين فقط ، ويبدو هذا في معظم شوارع المدينة ، كما أن هذه المدينة مقامة على إطلال المدينة القديمة ، فشعب الكوتوكو أحفاد الساو اتبعوا نفس نظام أجـدادهم الساو فـي بناء مدينتهم. وبما أن الشوارع تساعد دائماً في تطوير المدينة وفي عملية حركة التنقل منها وإليها مع المدن الأخرى المجاورة لها [1] .

وأن ضيق الطرقات يعود إلى أسباب أستراتيجية دفاعية لحماية المدينة من أي عدو خارجي ، لأن الطريق الضيق يمكن الدفاع عنه بأقل عدد بعكس الطريق الواسع في المـدن القديمة سابقاً .وبلغ عدد شوارع مدينة قاوي حوالي (25) شارعاً على شكل تقاطع ، وهذا مثبت بالصور. شكل رقم (11)

(1)- زيارة ميدانية قام بها الباحث بتاريخ الجمعة 2011/03/05م .



شكل رقم (11) يوضح شوارع مدينة قاوي الأثرية

عدسة الباحث ، المصدر : مدينة قاوي الأثرية

وكل من زار مدنهم،وشاهد ماخلفوه من المباني العظيمة والأسوار الضخمة التي أحاطوا بها مدنهم والأواني والقدور الفخارية الكبيرة من حيث الحجم والثقيلة من حيث الوزن سلم لهم بهذا القدر من العظمة والقوة، وحتى هذا الحين باستطاعة أي إنسانأن يقف على بعض أثارهم التاريخية،ويشاهد بعض ما خلفوه من الفنون التذكارية بمدينة (نفالا) وغيرها من مدنهم مثل مدينة (غلفي) بالكاميرون، ويوجد بهـذه المدينة بها برج ضخم مشيد بالطـين والحجارة، وأن هذا البرج يعتبر من أشهر أثار الشعب الساوى بحوض بحيرة تشاد، ومازال هـذا البرج قائماً يزوره الزوار لمشاهـدته، وأيضاً من ابرز ما خلفوه الدنان ذات الحجم الكبير التي تتسع لأكثر من (300 لتر ماء)،شكل رقم (12) وهذا فعلاً ما شاهده الباحث أثناء الدراسة الميدانية لمدينة (قـاوي)[1] حيث بلغ ارتفاعها حوالي متر ونصف المتر وعرضها حوالي واحد متر تقريباً، وهي عبارة عن جرار كبيرة الحجم،

(1)- الدكو/فضل كلود، الثقافة الاسلامية في تشاد في العصر الذهبي لامبراطورية كانم من (600–1000هـ/1200-1600م) منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طـ1، طرابلس – 1998م، ص 54.

توضع في مكان معين من زوايا المنزل وتمـلأ بالماء أو بعض المحصولات الزراعية أو غيرها من المواد الغذائية ، لتلك الشعوب الساوية التي عاشت بحوض بحيرة تشاد وما جاورها من المناطق الأخرى .



شكل رقم (12) يوضح الجرار الفخارية ذات أحجام كبيرة

عدسة الباحث ، المصدر : المتحف الوطني بأنجمينا

وتجـدر الإشارة إلى أن القطع الفخارية والأقنعة والتماثيل البشرية من السيراميك والبرونز هي من أعظم مخلفات الشعب الساوى الأثرية المكتشفة ، وعلى الرغم من غنى المادة المنسوبة إلى الشعب الساوى والتنوع الكبير في الآثار المصنوعة من السيراميك، فعند مقارنتها مع المكتشفات التي وجدت في حفريات إنيدي وبركو وجراب وموسورو توضح الاختلاف الكبير بين المرحلتين ، والساويون هم من أقوى الشعوب الأفريقية قديماً، من حيث العدد والعدة [1].

([1])- بن يونس،ابراهيم صالح ،تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراكورية كانم –برنو، ط2، شركة البابي الحلبي وأولادهبمصر ،1975 م، ص ص 84 -85 .

ونستنتج من ذلك أن هذه الحضارة الساوية تميزت بعـدة أشياء منها أوعية على شكل جرار ، أقنعة تماثيل صغيرة، قطع نقود من الطين المحروق ويصنعون ايضاً الحلي والأساور والعقود من البرونز. ومن أثـار الساو بمدينة قـاوي التماثيل البشرية المصنوعة من الطين المحروق والبرونز، وهذه التماثيل تختلف من منطقة لأخـرى ، فتماثيل مدينة (قـاوي) قديماً كانت تصنع من البرونز على شكل شبه دائري حيث يوجد رأس التمثال بطرفها ، أما التماثيل لمنطقة (كوسي) فقد صنعت من الطين المحروق وهي تحوي رأس تمثال بشري له قــرن واحد في أعلى الرأس انظر الشكل (13)، وذلك خلافاً لتماثيل (بوطة) البقرة التي صنعت من الطين المحروق ولها ثلاثة قرون .



شكل رقم (13) عدسة الباحث ، صورة لإنسان وعلى رأسه قرن لأحد الحيوانات ، يلبسه شعب الكوتوكو أحفاد الساو في الألعاب الفلكورية الشعبية ، مدينة قاوي الأثرية.

المبحث الرابع

مقارنة بين الحــضارتين الساوية والكنعانية

من الأمور التي يهتم بها أي باحث هو نظام تخطيط المدينة وبناء المنازل القديمة باعتبارهما من المناظر الحضارية التي تكشف عن تراث الماضي لتلك الأمم التي قـامت بهذا العمل الذي يعد دائماً من أهم المصادر التاريخية لعلم الآثار، فإذا كانت هـذه الدراسة أساسية بالنسبة للشعوب المختلفة فهي أكثر لزوماً بالنسبة لقوم لم يعرفوا ســـوى حياة المدينة من الناحيتين السياسية والاجتماعية، مثل الكنعانيين والإغريق، فمن خلال المصادر والحفريات التي أسفرت عنها جهود الأثريين الذين قاموا بإجراء التنقيب في المواقع الكنعانية والتي وجدت بها بعض الآثار أو أثار البلاد الأخرى التي تربطها علاقات مع الكنعانيين تدل على تنوع المدن الكنعانية[1]. وقد أثرت طبيعة الوطن الكنعاني في قيام المدن المستقلة ، ففي شماله شُيدت المدن على الشاطئ مباشرة أو فوق الجزر القريبة منه ، بحيث تصبح في مأمن من العدوان الداخلي ، حيث تحميها الجبال من الشرق، ومن أهم هذه المدن : طرابلس، بيروت، صيدا، صور، وأن طبيعة المنطقة الكنعانية لم تمكنهم من تكوين دولة واحدة قوية موحدة ، و أنما عاشوا في شكل جماعات صغيرة يحكم كلاً منها ملك ، و يتركزون حول مدن محصنة تحميها الأسوار وأبراج عالية قوية، تلجأ إليها تلك الجماعات عندما تتعرض لهجوم خارجي، ويعتبر الشعب الكنعاني من أقدم الشعوب التي ركبت البحر من أجل التجارة ، وهم من أمهر التجار الذين أبحروا في البحر المتوسط .

برع الكنعانيون في فنون العمارة والأسوار مثل قصر الملك سليمان في القدس، حيث ساهم المهندسون الكنعانيون [2] مساهمة فعالة في بنائه وبناء الهيكل التابع له، إذ كانت العمارة المدنية هي تنظيم المدن وإقامة المنازل أقل أهمية من العمارة الدينية، ولكن هذا لا يمنع من وضعها فنياً في مصاف العمارة بصفة عامة . فالعمارة تعتبر من المعالم الظاهرة التي تعد من ضمن المراجع

([1])-عصفور،محمد ابو المحاسن ، المدن الفينيقية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، 1981م ، ص ص ص 99، 100، 105 .

([2])- الفنادي،صلاح الدين محمد،واخرون، تاريخ الوطن العربي وحضارته في العصور القديمة ، 1998م،ص ص 158-159 .

الأساسية لدراسة علم الآثار إذ أنها تعطينا الصورة الحقيقية الكاملة لتاريخ هذه المدن تقريباً ، متى أنشأت وبأية طريقة بنيت ، ومن أية مادة تم بنائها .

إن أول ظاهرة نلاحظها في المدن الكنعانية سواء كانت هذه المدن كبيرة أو صغيرة، هو السور الذي يحيط بها من جميع الاتجاهات ، والمدن الكنعانية في معظمها صغيرة الحجم عادة ، جعلها تتميز بالطابع الغالب عليها وهو ضيق الطرق والممرات، وازدحامها بالمنازل وكثرتها لدرجة تلاصق بعضها البعض ، وهذا الوضع حاصل بالمدن الساوية ، ونظراً لأن مساحة المدينة كانت محددة بسور مسبق فإن كل زيادة حديثة في السكان في وقت الازدهار لم يصحبها اتساع أخر وراء الأسوار التي كانت في بداية التأسيس للمدينة ، ولهذا السبب أصبحت المساكن تأخذ اتجاه اَخر ، ألا وهو التوسع الرأسي أي بناء المساكن فوق بعضها البعض ، والدليل على ذلك ما يؤكده **كُتَّاب** الإغريق القدماء مثل استرابون الجغرافي من القرن الأول قبل الميلاد، حيث يذكر أن منازل صور واوراد كانت تتكون من عدة طوابق ، وأن منازل صور كانت أكثر ارتفاعاً من منازل روما نفسها، وهذا عكس المدن الساوية بحوض بحيرة تشاد فأنها لم تكن هناك منازل فوق بعضها البعض ، وأنما كانت عبارة عن منازل عادية ، ومن الملاحظ أن الكنعانيين دائماً ينشؤون مدنهم في أماكن عالية أو مرتفعة وذلك لعدة أسباب جعلتهم يتبعون هذا الأسلوب في البناء، حيث أن هذه الأماكن تساعدهم في الدفاع وحماية أنفسهم وسفنهم عند رسوها [1] ، وهذا أمر مشترك مع الشعوب الساوية ، فهم أيضاً يبنون مدنهم في أماكن مرتفعة خوفاً من الفيضانات وفي نفس الوقت تساعدهم في الدفاع وحماية أنفسهم من هجمات الأعداء الخارجية .

([1])- جان ، مازيل ، تاريخ الحضارة الكنعانية، ترجمة ريا الخش، ط 1، دار النشر والتوزيع، اللاذقية- 1998م ، ص 170.

إذاً نستطيع القول أن الكنعانيين كانوا يعيشون في مدن صغيرة متفرقة، احياناً تتقاتل مع بعضها البعض واحياناً تتحد ضد عدو خارجي،ولم تكن هناك روابط تَّربط بينها وأنما كل مدينة كنعانية تدير شؤونها الخاصة بها دون أن تتدخل الأخرى في أمورها الداخلية أو الخارجية . وتميزت بالأسوار التي تحيط بكل المدن الكنعانية، وأيضاً تميزت المدن الساوية بنظام السور الخارجي المحيط بالمدينة من الجهات الأربع .

كذلك عرفت المدن الساوية بالمدن المستقلة عن بعضها البعض، وكل مدينة تسير أمرها بمعزل عن غيرها وهذا أمر مشترك [1] بين الكنعانيين والساويين وكان للكنعانيين كذلك عدد من القرى والإقطاعيات الزراعية التابعة لها .

وكذلك المجتمع الكنعاني الفينيقيون مجتمع زراعي وبرعوا في ذلك كثيراً ، حيث أن ماجون الفينيقي من قرطاجة ، كان لمؤلفاته الزراعية الفضل في تقدم زراعة الرومان .

ومن الأمور المشتركة بين الشعب الساوى والكنعانيين عملية دفن موتاهم ، فكلا الحضارتين أو الثقافتين تدفن موتاها بجرار فخارية ويدفن مع الموتى أدواتهم الخاصة بهم، والتي كانت مستخدمة في حياتهم مثل أدوات الزينة وغيرها، وتقديم الأضحية البشرية كانت أيضاً مشتركة بينهما .

تعتبر العمارة الكنعانية الفينيقية قديمة قدم الحضارات في الشرق الأوسط ، وخاصة بلاد الشام منذ ثلاثة ألف سنة قبل الميلاد التي قامت بعد الهجرات العربية في شبه الجزيرة العربية ، واستقرت في بلاد الشام، وكان الشعب الكنعاني واحداً منها، و تميزت العمارة الكنعانية ببناء الحصون والقلاع والأسوار، وتعدد الطوابق، وضيق الطرق والممرات. ومن الأمور التي تميز بها الشعب الكنعاني دون غيره في فترات سابقة هو ركوب البحر الأبيض المتوسط، وذلك لضيق أراضيه الزراعية ، حيث توغلت سفنهم حتى الجزر البريطانية وذلك عبر المحيط الأطلسي ، والتجارة هي العمل الأساسي

([1])- الميار / عبد الحفيظ فضيل، الحضارة الفينيقية في ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 2001م ، ص 230.

الذي قام به الشعب الكنعاني على سواحل البحر الأبيض المتوسط، بينما تميز الشعب الساوي بصناعة الفخار المحروق مما أطلق عليها حضارة (الطين) أو الفخار .

ويشترك الشعب الساوى مع الكنعانيين في الأسوار والحصون والقلاع [1]، أما التجارة فهذه خاصة بالكنعانيين ، فالساو زراعيون بالدرجة الأولى دون التجارة. وتعتبر الجماعات الساوية من أقدم الجماعات السكانية حول حوض بحيرة تشاد، وعرفوا بناء المدن المحصنة والدفاع عنها،

كان النظام الاقتصادي لدى الساو يقوم على التبادل التجاري وإنتاج بعض المحاصيل الزراعية الهامة، ولم يذكر في تاريخهم الاهتمام بنظام المقايضة الذي كان منتشراً في المناطق الأفريقية حتى لفترات قريبة لكن الملاحظ أنهم لم يستخدموا أي عملات نقدية محلية غير الذهب والفضة والملح .

ومن الملاحظات الهامة على الآثار القديمة حول حوض بحيرة تشاد، أن الروايات المحلية تصفها بأنها من آثار الكنعانيين [2]أو (أبو كنعان)، سواء في ذلك الآثار أو المخلفات الفخارية أو الرسومات والتماثيل أو الآبار المحفورة في الصخور.

ونستنتج من ذلك بأن الحضارتين لهما ترابط وتشابه في كثير من الأمور التي تجمع بينهما، مثلاً صناعة الأواني الفخارية وصناعة جرار دفن الموتى وتقديم الأضحية البشرية للآلهة من أجل دفع بلاء أو وباء سواء كان ذلك محلي أو عدوان خارجي.

وإن الحضارة الكنعانية كان لها وجود في تشاد خاصة في المناطق الساحلية، وبالتحديد بمدينة أبشة وشرقها وشمالها في مدينة عراضة وضواحيها مثل (كجمر) وما جاورها ، ولعلى الدراسات والحفائر الأثرية في المستقبل تسلط أضواء أكثر بخصوص هذا الموضوع .

([1])- مهران ،محمد بيومى، مصر والشرق الادنى بلاد الشام ، دار المعارف الجامعية ، الإسكندرية ،1990م ، ص ص 83 ، 86 .

([2])- ايوب / محمد صالح ، الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق الترجمي في دار وداي – تشاد (1853م-1917م)،جمعية الدعوة الاسلامية العالمية –طرابلس – 2001، ص 34.

الفصل الثالث : مظاهر الحياة الثقافية والدينية في مدينة قاوي

المبحث الأول : الحياة الثقافية في مدينة قاوي.

المبحث الثاني : الحياة الدينية في مدينة قاوي قديماً.

المبحث الثالث : مدينة قاوي نموذجاً للعمارة والسياحة.

المبحث الأول

الحياة الثقافية في مدينة قاوي

الحياة الثقافية في مدينة قاوي :-

قام الباحث بزيارة إلى مدينة قاوي التي تبعد عن مدينة أنجمينا بحوالي **20 كيلو متر** شرقاً وكان ذلك بتاريخ **05 / 01 / 2011 م**، وأجرى لقاء مع سلطان المدينة **حسن عبد الله محمد**، وذلك من أجل أخذ المعلومات التي تتعلق بثقافة هذه المدينة، حيث أفاد بأن حضارة الساو تعتبر من الحضارات التشادية البارزة على أرض الواقع، خاصة في تاريخ تشاد القديم، من ناحية المعالم التاريخية القديمة التي نشأت على ضفاف بحيرة تشاد، وأن هذه الحضارة التي خلفها الشعب الساوى تعد من أهم المظاهر الثقافية الأثرية في الوقت الحاضر، رغم إن معظم المخلفات الأثرية قد اندثرت نتيجة لعدة عوامل منها الطبيعية والبشرية، إلا أن هذه الحضارة ظلت تقاوم الظروف الطبيعية، لكنها تضررت من الكائن البشري الذي يسعى دائماً إلى دمار حضارته بيده، وذلك بسبب عدم الوعي الكافي[1] لدى المواطن لأهمية الآثار، وأفاد سلطان المدينة بأن تاريخ مدينة قاوي يقدر بحوالي **2700** سنة قبل الميلاد، حسب ما عرفه من أجداده الكوتوكو، وكذلك الروايات الشعبية المتناقلة من سلاطين المدينة ما قبل الإسلام وبعده، إذ لم يكن للمدينة تاريخ مكتوب قبل دخول الإسلام إلى المنطقة، أو حروف خاصة بأهل هذه الحضارة الساوية[2]، ويؤكد هذا التاريخ إمام مدينة **(واليا)**الشيخ **رضمت محمد صالح** الذي يبلغ من العمر **85 عاما** ، حيث قال أن الشعب الساوى جاء من اليمن في زمن نبي الله **صالح عليه الصلاة والسلام**، وهذا ما عرفه من أجداده ، فإذا ما جمعنا**2700 + 2011 = 4711** مضت من تاريخ الســاو بالمنطقة ، وقد قام الباحث بزيارة ميدانية لهذه المدينة بتاريخ[3]**15/ 01 / 2011 م** والتي تبعد عن مدينة أنجمينا بحوالي **30 كيلو متر** شمالاً ، وهي أيضاً من مدن الساو ،

---

[1]- الدراسة الميدانية، لقاء مع سلطان المدينة بتاريخ 15 / 01 / 2011م.

[2]- نفس المرجع السابق .

[3] - الدراسة الميدانية ، مقابلة الإمام رضمت محمد صالح ، بتاريخ 25 / 01 / 2011.

ويوجد بها العديد من المظاهر الثقافية والبقايا الأثرية، ولكن حتى الآن لم تستكشف أثرياً ، نظراً لعدم اهتمام وزارة الثقافة والسياحة بتشاد، فالآثار التي خلفها الشعب الساوى تبدأ ظاهرة ومنتشرة في أنحاء المدينة، خاصة الأواني الفخارية والجرار ذات الأحجام الكبيرة وبقايا الشقف السوداء القديمة.

وصل الباحث إلى مكان صناعة الجرار التقليدية بمدينة **قاوي** بتاريخ **19 / 01 / 2011 م**، حيث أجرى الباحث لقاءات حول هذه الظاهرة الثقافية الصناعية التي تمارس حتى يومنا هذا من قبل نساء مدينة **قاوي** ، اللاتي يمارسن هذه الصناعة ويحافظن عليها حتى لا تندثر، كما تعتبر مصدر رزق لهؤلاء النساء، وفي نفس الوقت فإن اللواتي يقمن بها من ذوات الدخل المحدود جداً، فالزائر لهذه المدينة أول ما يشاهده عندما يصل إلى مدينة **قاوي** هو انتشار الجرار الفخارية بكثرة على مداخل المدينة من جميع الاتجاهات الأربعة ، وهي رائعة الجمال ، وبأشكال مختلفة وشديدة الإتقان[1] وناعمة الملمس ، ومميزة عن بقية الصناعات الأخرى التي تقوم خارج مدينة **قاوي** ، و لهذه الجرار العديد من الاستخدامات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ، ما يستخدم لتخزين المياه ، وفي نفس الوقت تعتبر[2] مبردة طبيعية ، لأن أغلب المواطنين ذوي الدخل المحدود يستخدمون هذه الجرار لتبريد الماء ، وهي فعلاً مبردة ذات فعالية كبيرة لحفظ الماء وتبريده بدرجة مقبولة من البرودة ، وأنا شخصياً عشت هذه التجربة خلال البحث الميداني بمدينة **قاوي** ، لأن المنطقة معدومة الكهرباء ، ومن الملاحظ أن هذه الصناعة هي صناعة يدوية لم تدخل عليها أية تطورات صناعية حديثة حتى الآن ، رغم دخول الآلات الصناعية إلى البلاد ، أيضاً هناك نوع من الجرار كانت تستخدم كتابوت لدفن موتاهم في حضارة الساو سابقاً قبل دخول الإسلام إلى أفريقيا عامة ، وتشاد خاصة ، حيث قام الباحث بمقابلة الأخت **رمان مهاجر**

---

[1]- الدراسة الميدانية حول صناعة الفخار، قام بها الباحث بتاريخ 19 / 01 / 2011.

[2]- الدراسة الميدانية حول ظاهرة صناعة الفخار، مرجع سبق ذكره.

بشير إحدى نساء مدينة **قاوي** اللاتي يمارسن هذه الصناعة، وشرحت للباحث كيفية تحضير[1] وصناعة هذه الجرار ، تتكون من الطين وبعر الأبقار ونوع من الأحجار ، وأن تحضير الطين لصناعته يمر **بالمراخل التالية** :-

1. إحضار الطين من المكان الخاص به، ويكون من خارج المدينة، وبعد ذلك يخلط مع بعر الأبقار الجافة ، وهناك نوع من الحجر الخشن ، ويطحن بواسطة مهراس وعمود ، هذا المهراس والعمود يصنعان من شجرة معروفة لدى التشاديين والسودانيين على حد سواء ، هي شجرة الهجليج ، وهي مثمرة ذات أثمار شبيهة بالتمر من حيث الحجم، ولكن الطعم مر عسل، عكس التمر، تبدأ صناعة الجرار بخلط وعجن الطين مع بعر الأبقار ، وبعدها تبدأ مرحلة الصناعة ، وهي صناعة القاعدة الأساسية للجرة من دون الرقبة ، وبعد جفاف الجرة تلحق بها الرقبة، ثم توضع الجرار المصنوعة تحت أشعة الشمس لمدة ثلاثة أيام كاملة إذا كان الجو ساخناً ، أما إذا كان دون ذلك فسوف تستمر ما بين أسبوع أو أسبوعين.
2. المرحلة الثانية ، بعد الجفاف الكامل للجرار تبدأ عملية الطلاء باللون الأحمر ، وهي عبارة عن مادة حجرية تسمى بالمقر ، وهي معروفة للصناع ، وتطحن بواسطة العمود والمهراس ، إذ تتحول هذه المادة إلى دقيق ناعم، وبعد ذلك تصبح هذه المادة جاهزة للطلاء، فتتم العملية لمدة ساعة أو أكثر معرضة لأشعة الشمس[2].
3. المرحلة الثالثة هي حرق الجرار ، حيث توضع مجموعة من الجرار الفخارية في فرن كبير يكون على سطح الأرض، وهذا الفرن عادة يتسع لأكثر من مائة جرة ،

---

[1]- مقابلة مع الأخت رمان مهاجر بشير، إحدى العاملات بصناعة الفخار بمدينة قاوي، بتاريخ 19 / 01 / 2011.

[2]- الدراسة الميدانية، لقاء مع رمان مهاجر بشير، مرجع سبق ذكره.

وبطريقة خاصة تعرفها النساء اللاتي يمارسن هذه الحرفة، ثم يوضع بعر الأبقار فوق الجرار مع بعض المواد الحافظة للحرارة مثل (**القصدير**) وأحجار خاصة توضع بكيفية خاصة مع البعر حتى لا تترك فراغاً للهواء ، ثم تشعل النار وتستمر مشتعلة لمدة ثلاث ساعات[1]، وبعد انتهاء عملية الحرق هذه تتحول الجرار إلى اللون الأحمر، وتصبح جاهزة للاستعمال، إذا لم تكن هناك ريح، لأن الريح تساعد في عملية الاشتعال بدرجة كبيرة وسريعة، وبالتالي تكون عملية الحرق غير دقيقة وغير مكتملة، حيث تستهلك الرياح المواد العضوية قبل أن يتم الحرق بصورة كاملة للجرار والأدوات الأخرى والأواني ذات الاستخدامات اليومية .

وفي هذه الدراسة أجريت العديد من المقابلات الشخصية والتي اعتمد عليها الباحث، إذ اتبع أسلوب المقابلات الشفوية المباشرة لأخذ وتسجيل المعلومات التي تخص حضارة الشعب الساوى بحوض بحيرة تشاد ، وحصلت المقابلة مع كل من الأخت **فاطمة آدم ، 35 سنة ، صانعة فخار** ، والأخت **زينة حامدي**[2]، **50 سنة ، صانعة فخار** بمدينة قاوي ، والأخت **أما صالح 22 سنة ، صانعة فخار** بمدينة قاوي ، وكل هؤلاء النسوة يشتغلن بحرفة صناعة المواد الفخارية وكل ما يتعلق بهذه الصناعة.

يتضح مما سبق أن المظاهر الثقافية تعتبر من أهم المصادر التي تقدمها العلوم الأثرية عبر العصور المختلفة، والمسألة الثقافية لا بد أن تقوم على حقيقة، لأنها تترتب عليها أمور بما يتعلق بالعلوم الأثرية ، خاصة في هذا الزمن ، فالثقافة هي المرآة التي نحكم من خلالها على مدى تقدم أي بلد ، ومدى الحضارة التي وصل إليها ، وهي مفهوم شامل يتناول جوانب الحياة جميعها، وتاريخ ثقافة أمة من الأمم هو تاريخ جهود أبناء هذه الأمة في الكشف عن ذات تلك الأمة

---

[1]- المرجع نفسه.

[2]- أيوب . محمد صالح ، الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق الترجمي ، مرجع سابق ، ص19.

وتحقيق هويتها، وهي تتمثل بلغتها وأعراقها وتقاليدها وآدابها، وهي ثمرة كل نشاط إنساني نابع من البيئة ومعبر عنها أو مواصل لتقاليدها وعاداتها وغيرها من القدرات ، وأنها مجموعة من المعلومات التي يقوم عليها نظام حياة أي شعب من الشعوب في المعمورة[1].

قام الباحث بزيارة اخرى إلى مدينة قاوي ، وكانت بتاريخ **21 / 03 / 2011**، وأجرى بعض المقابلات الشخصية المباشرة لأخذ المعلومات التي تتعلق بسور المدينة القديمة (**قاوي**) الذي كان يحيط بها من الاتجاهات الأربعة، إذ كان له أربعة أبواب، ويبلغ ارتفاعه حوالي عشرة أمتار، وعرضه حوالي أربعة أمتار، ويقوم أربعون رجلاً بإغلاقه وفتحه ، إلا أن العوامل الطبيعية والبشرية قد قضت عليه مع مرور الزمن، مع عدم الترميمات له، وما تبقى منه تم استخدامه في عملية البناء من قبل السكان ، حتى أعلنت الدولة في الآونة الأخيرة بأن هذه المدينة (**قاوي**) محمية أثرية ، تعود ملكيتها للدولة ، ويجب المحافظة عليها.

وكانت المقابلة مع الأستاذ **أبكر صالح إبراهيم**، ويبلغ من العمر **63 سنة** ، وهو مسؤول عن المتحف الخاص بأدوات الساو بمدينة قاوي ، ومرشد سياحي في نفس الوقت ، حيث شرح للباحث واصفاً بأن هذا المتحف يحتوي على معظم مخلفات الشعب الساوى ، وهي تتمثل في أنواع الجرار الفخارية ذات الأحجام الكبيرة والصغيرة والمزهريات وأدوات الزينة الخاصة بالنساء، وأدوات حجرية تستخدم في عملية الدفاع والهجوم[2]، وكذلك بعض التماثيل البشرية والحيوانية المصنوعة من الفخار ، والعملات المصنوعة من الطين، وهي ذات أحجام مختلفة ، فأي حجم له قيمة خاصة به، ونستنتج من ذلك أن المظاهر الثقافية للآثار تعتبر من أهم المصادر الثقافية، وهي تشكل المادة المصدرية الأساسية لأي شعب ، وأن أي شعب ليس له ماضٍ ليس

---

[1]- مقابلة مع الأخوات العاملات بميدان صناعة الفخار بقاوي ، بتاريخ 20 / 01 / 2011 ، مدينة قاوي الأثرية.
[2]- أرشيف السجل المدني لإحصائية 2011م ، بمدينة قاوي.

له حاضر ، وأن الثقافة لها دور مهم جداً في تغيير حياة الشعوب، وهي تقود الشعوب إلى بر الأمان، ومن خلال المظاهر الثقافية نعرف نمط الحياة اليومية.

ومن هنا نلاحظ عندما دخلت القوات الفرنسية إلى حوض بحيرة تشاد ، حاولت الإدارة الفرنسية تدمير كل شيء يمثل رمزاً حضارياً يتعلق بالثقافة الإسلامية ، لأن الممالك الإسلامية قد قاومت الاستعمار الفرنسي عند زحفه نحو وسط أفريقيا الإسلامية ، إذ أن هذه الممالك تمثل حضارات تاريخية مثل حضارة حوض البحيرة المتمثل في مملكة **كانم – برنو** ، ومملكة **باقرمي** و**وداي** و**قاوي** ، وكانت النظم الإدارية والحكومية في هذه الممالك ثابتة ذات جذور تاريخية وولاء الناس لها ثابت ومرتبط في أغلب المناطق بالدين الإسلامي ، ودوره الحضاري في حياة الجماعات الإسلامية[1] ، إلا أن هذه الإدارة حاربت الثقافة الإسلامية بكل السبل، خاصة اللغة العربية، وما كتب بها من آداب وثقافة ، بينما حاولت هذه الإدارة الاهتمام بثقافة الشعوب الساوية بحوض بحيرة تشاد، وهي حضارة لم تكن لها حروف مكتوبة أو لغة واحدة قبل مجيء هذا المستعمر إلا اللغة العربية التي كتبت بها ثقافة الشعب الساوى الذي سعى لجمع مخلفات هذه الحضارة ووضعها في المرتبة الأولى على أنها حضارة البلاد، وإهمال كل الحضارات الأخرى بحوض البحيرة.

و تعتبر الآثار تراثاً عالمياً ، لأنها تجمع في محصلتها إبداع الشعوب المختلفة في مجالات الفنون والصناعات ذات الطابع الإبداعي في ذلك الوقت ، حيث استطاعت أن تترك لنا بصماتها الحضارية على مراحل مختلفة من التاريخ خاصة القديم منه ، وإذا كان الإنسان يجمع في سلوكه ما استطاع أن يحصله من التجارب والخبرات والأفكار العقائدية، فإنه يصدر في نفس الزمن عن

---

[1]- أيوب، / محمد صالح، مجلة الثقافة العربية، العدد الأول ، السنة السابعة عشر، اللجنة الشعبية العامة للإعلام والثقافة – الجماهيرية، بنغازي، 1990م ، ص 53.

ذخيرة المسار الحضاري في بيئته فيما يتدفق فيها من ثمرات العلاقات الإنسانية[1] على اختلاف الأوطان والأجناس.

إذاً نقول هنا في المقام الأول هو لفت نظر القارئ كي يتعرف على المناظر الطبيعية الجذابة ، كما يتاح لهم أن يشاهدوا هذه الآثار المتنوعة التي خلفها لنا الأجداد على مدى التاريخ الطويل ، المتمثلة في الصناعات الفخارية التقليدية اليدوية الشعبية ، حيث عرفت ثقافة الشعب الساوي قد بحضارة صناعة الفخار، أي الحضارة (**الطينية**) بحوض بحيرة تشاد ، بينما عرف الشعب الكنعاني باللون الأحمر الأرجواني عند قدماء الإغريق، وأن هذا الشعب عرف التجارة، وله علاقات تجارية نشطة جداً عبر البحر الأبيض المتوسط، وهناك علاقات تجارية منذ قديم الزمان بين ليبيا وتشاد والنيجر قبل **7 آلاف سنة قبل الميلاد** ، أيضاً علاقة الخرطوم القديمة بحضارة تبستي التي تقع الآن بين ليبيا وتشاد، وكان لهذه العلاقات تأثير على ساكني حوض البحيرة في جميع النواحي لأن هذه الشعوب الوافدة كانت لها خبرات نقلتها معها إلى حيث وصلت.[2]

كان لثقافة الشعب الساوى تأثير في حضارة مملكة كانم قبل الإسلام وبعده ، لأن هؤلاء الساو كان لهم السيطرة الفعلية في قيادة معظم أمور المملكة الكانمية – البرناوية ، إذ أن برنو هي التي قضت على الساو بعد حروب دارت بينهما فترات طويلة، وكان ذلك خلال القرنين الرابع عشر والسابع عشر الميلاد، وأصبحت تابعة إلى سلاطين برنو في جنوب بحيرة تشاد ، ولم يتغلب عليهم فعلياً إلا **إدريس دوما** عام **1353 – 1376 م** ، فإن للشعوب الساوية قوى بشرية فرضت وجودها على أرض البحيرة ، وتركت لنا سمات ثقافية ظاهرة تمثلت في عدة أشياء مثل الأواني الفخارية والدنان والقدور المصنوعة من الطين الأخضر، ثم يتم حرقها بعد جفافها ، وهي

---

[1]- وافى ، علي عبد الواحد ، مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، جـ1 ، ط1، (ب،ت،ن) دار النهضة للطباعة والنشر ، الفجالة ، القاهرة ، (ب ، ت ، ن) ، ص95.

[2]- تنقو، أحمد صالح، أضواء على تاريخ السودان، من داكار إلى بورتسودان، ط 1، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم،2011 م ، ص 37.

صناعة تمارسها[1] نساء الكوتوكو أحفاد الساو بجميع أنواعها، وهي منتشرة في جميع مدن الساو قديماً بحوض بحيرة تشاد، وفي ذات الدول المجاورة مثل النيجر ونيجيريا والسودان وليبيا، لأن هذه الدول كلها عاش فيها الشعب الساوى سابقاً.

ومن أنواع مظاهر الثقافة بمدينة قاوي الأثرية ، وهي حتى الآن تستخدم من قبل نساء الكوتوكو في الحياة اليومية ، الكؤوس والفناجين والصحون والأباريق الفخارية التي كانت في رقتها تشبه قشرة البيضة، وهي صناعة يدوية لم تدخل عليها أية وسيلة حديثة مثل الدولاب الذي يساعد في سرعة إنجاز العمل، أي أنها صناعة تقليدية بدائية[2] حتى هذه اللحظة، ولكنها جميلة ومتنوعة وذات أحجام مختلفة، ومن مظاهر الثقافة الموجودة بمدينة قاوي ومتعارف عليها بين سكان هذه المدينة أحفاد الساو ، وهم الكوتوكو ، وهي خاصة بالسلاطين، ألقاب ومناصب تستخدم بلغة الكوتوكو ، وهو عبارة عن نظام إداري معروف لديهم ومستمر حتى الآن ، ومن هذه النظم أو الألقاب :

- **Mei(السلطان)** : وهو المسؤول الأول في السلطنة والمناطق التابعة لها.
- **أليفة** : هو نائب السلطان أو الخليفة الذي ينوب عن السلطان.
- **بابا** : نائب الخليفة.
- **بابابرمي** : وزير.
- **مقيفون** : بمكانة مدير البروتوكول، يأكل قبل السلطان للتأكد من سلامة الأكل.
- **منقواو** : مسؤول المخازن والمهمات.
- **مابيرو** : وزير الماء والصيد.
- **أنقارماني** : رئيس العبيد.

---

[1]- المرجع نفسه، ص 117.
[2]- المرجع نفسه، ص 134.

- **مدام اللومي** : هو كبير أبناء السلطان الذي يحضر الجلسات للتدرب على الحكم.
- **مدام بريا** : وزير بلا منصب.
- **مادام** : هو النائب الثالث للسلطان.
- **الوكيل** : بمثابة رئيس الوزراء.
- **ميكلاندي** : هو الذي يقوم بكج كدمول السلطان أثناء تنصيبه.
- **قمسو** : هي السيدة الأولى.
- **ماقيرا** : مسؤولة النساء في الحي أو القرية، وتكون دائماً من أخوات السلطان.
- **مي سارما** : وزير الدفاع.
- **أركلي** : القاضي.
- **مونتي فتيات** : بروتوكول يصاحب السلطان عند خروجه للاحتفال.
- **مايقرا موشكنا** : مراسل السلطان.
- **ميش قيرا** : المسؤول عن أحياء المدينة، ويتم اختياره من قبل السكان وليس من قبل السلطان.
- **باباما قيرا** : شخصية من العقلاء بمثابة مرجع للسلطان يشاوره في المشاكل والمهمات الصعبة.
- **بريما** :أخو السلطان.
- **كيشكو** : رئيس الشباب ورئيس مليشيات الحرب.
- **قيدالا** : حكماء.
- **ميرقوان** : مسؤول البنات في القرية أو الحي.

ومن مظاهر الثقافة التي انتشرت في المدن الساوية قديماً والكوتوكو حالياً ، كلمات يستخدمها الصيادون وهم على المراكب التي يصطادون بها الأسماك ، ومن هذه الكلمات بلغة الكوتوكو[1] **(كات، كات، كات)**، وعندما سمعهم العرب أطلقوا عليهم اسم الكوتوكو ، وأصبح بذلك هذا الاسم علماً عليهم.

إذ نجد الأطفال في هذه المنطقة يرمون أسنانهم اللبنية نحو الشمس، كي تهبهم الأخيرة أسناناً أفضل من السابقة، ويعد هذا التقليد الثقافي هو من بقايا المعتقدات الوثنية التي ما زالت منتشرة ومستمرة في المنطقة، وزد على ذلك أن الباحث عاش هذه الحالة حتى خارج حدود البحيرة شرقاً، تحديداً في مدينة عراضة في فترة الطفولة، وهكذا فإن منطقة حوض بحيرة تشاد قد أثرت فيها الهجرات البشرية القديمة، وذلك في مجال التمازج الاجتماعي الثقافي.

وإذا عدنا إلى أصناف هذه الجماعات فنجدها تضم الكوشين والعماليق والأمازيغ والفولانيين والجرامنتين ، إضافة إلى السود الذين سكنوا المنطقة ، حيث أحدثت هذه الهجرات تمازجاً اجتماعياً ثقافياً بالمنطقة ، ومن مظاهر الثقافة بالمدن الساوية اختلاف اللغة بين سكان تلك المدن التي تم تأسيسها من قبل الشعب الساوي سابقاً ، وأحفادهم الكوتوكو حالياً ، وهذا دليل على أن الشعب الساوي ينحدر من مجموعة قبائل، والدليل هو تعدد اللغات واللهجات[2] بين تلك الشعوب التي أطلق عليها مسمى الشعب الساوي.

ومن مظاهر الثقافة الساوية بمدينة قاوي الأثرية قديماً كانت محطة حجاج بيت الله الحرام ، فنظراً لبعد الأراضي المقدسة **مكة والمدينة** عن بحيرة تشاد، فإن الرحلة إلى الحج تكسب صاحبها مكانة كبيرة لدى السكان، إذ يعتبر الحاج وسيلة هامة لنقل ثقافة بلاده، وبالتالي يكون

---

[1]- ابه حسن اجي، تاريخ مملكة قاوي، مقابلة بقصر السلطان بمدينة قاوي يوم 08 / 02 / 2013.

[2]- أيوب / محمد صالح، مظاهر الثقافة العربية في تشاد المعاصرة وتحديات العولمة، ط 1، مطابع الصفا التجارية، القاهرة ، 2008 م ، ص 96.

لهذه الثقافة المنقولة تأثير على سكان المنطقة ، وكون مدينة قاوي محطة للحجاج[1] فإنهم يتزودون منها من خلال الزراعة التي يقومون بها والتي تستمر لمدة سنة أو أكثر ، مما جعلها تستفيد ثقافياً من هؤلاء الحجاج ما يحملونه من ثقافات مختلفة ، وبالتالي انفردت هذه المدينة دون غيرها بالصناعات الفخارية بحوض بحيرة تشاد.

من مظاهر الثقافة هناك معاني بعض الكلمات الثقافية الساوية التي انتقلت إلى بعض الشعوب التي كانت لها علاقات إنسانية مع الشعوب الساوية قديماً بحوض بحيرة تشاد ، ومن هذه الكلمات أو المعاني كلمة **ماغومي** ، بمعنى رئيس أو ملك أو نبيل أو شريف، ومن ناحية أخرى لا نجد الرباط اللغوي بين كانم والشعوب الساوية بالبحيرة وتلك في الشمال، وهناك اختلاف في اللهجات داخل اللغة الأم، ومن بعض الكلمات المنتشرة والمتطابقة نجد منها : **داجاشي** في لغة الكانوري ، بمعنى نبيل صغير أو رئيس صغير.

كي بمعنى نبيل أو شريف في لغة مروي أو في اللغة الكانورية.

الماجيرا : في اللغة الكانورية لقب الملكة الأم في برنو ، وتطابقها كلمة **كانديس** في مروي ، وفي لغة الزغاوة تعني كلمة **كانديس** الأم[2].

من منظور المؤشرات الثقافية المختلفة وهي ظاهرة بهذه المدينة (**قاوي**) حيث تؤكد جذور هذه المظاهر وتأثير حضارة الشعوب الوافدة إلى منطقة البحيرة من الشمال والشرق والغرب والجنوب، وظهر هذا التأثير الحضاري في مجمله في إتقان صناعة الفخار والأواني الفخارية، واستعمال الحديد والبرونز حيث لم تنشأ هذه الصناعات من فراغ ، وإنما نتيجة تدفق هجرات بشرية قدمت من الخارج إلى هذه المنطقة حاملة معها خبرات متنوعة.

---

[1]- تنفو ، أحمد صالح ، مرجع سبق ذكره، ص 227.

[2]- تنقو ، أحمد صالح ، أضواء تاريخ السودان من داكار إلى بورتسودان ، مرجع سبق ذكره ، ص 154.

المبحث الثاني

الحياة الدينية في مدينة قاوي قديماً

الحياة الدينية في مدينة قاوي قديماً :-

يلعب النظام الديني دوراً كبيراً في حياة شعوب حوض بحيرة تشاد ، حتى أن الباحث الفرنسي **(شابيل)** أشار في كتابه (المجتمع التشادي) إلى أنه من الصعب أن يميز الباحث بين الأمور الدينية وغير الدينية في حياة الإنسان حول حوض بحيرة تشاد، ولذلك كان للنظام الديني وجود في الحياة الاجتماعية لسكان الحوض في جميع[1] مراحل تطورهم.

إن طبيعة الإنسان اعتادت الإيمان الفطري بقوة خفية قادرة ومهيمنة، ظهرت في المجتمعات الإنسانية البدائية، وهي تدل على تمسك الإنسان البدائي واعتقاده لوجود قوة قاهرة، غير أن هذا الاعتقاد الممزوج بالطقوس البدائية قاد الإنسان إلى تمثيل هذه القوة في الطبيعة فاتخذ من الطبيعة رموزاً وطواطم[2] ترمز إلى هذه القوة الخفية وبالتالي يتقرب من هذه الرموز والطواطم ويقدم لها القرابين.

وقد لعب الكهان دوراً كبيراً في إدخال المجسمات والتماثيل في طقوس العبادات، وهنا ظهر الاعتقاد بآلهة ما والحيوانات المقدسة، ثم ظهرت المعتقدات بعبادة الاسلاف وممثلي الآلهة من البشر ومندوبي الإله الأعلى فهناك مندوب عنه مختص بالسمك وآخر مختص بالمطر، وصاحب الأرض الذي لا يخصب الزرع إلا بإذنه، وهذا يعني الأصل في طبيعة المعتقدات الدينية السائدة قبل الإسلام أنه مرتبط بالطبيعة الأرضية، ولم تظهر بأن بها علاقة بمعتقدات

---

[1]- أيوب ، محمد صالح ، الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق الترجمي في دار وداي (1953 – 1917)، 2001، جمعية الدعوة الإسلامية، ط 1، طرابلس، ص 64.

[2]- " إن كلمة (الطوطمية) كانت تطلق على الحيوان أو النبات الذي تتخذه أي قبيلة من القبائل البدائية رمزا لجميع أفرادها، وتعتقد أنها تؤلف معه وحدة اجتماعية، وتنزل ما يرمز إليه منزلة التقديس (مثل الأسد يعتبر طوطما) لفئة من عشائر القبيلة الواحدة، أو لكل عشيرة طوطم سواء كان من الحيوان أو النبات أو غير ذلك من الكائنات الحية أو الجماد "تم استقاء هذا التعريف من كتاب الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عمر الماحي، المجتمع التشادي في عهد الاحتلال الفرنسي (1918 – 1960 م)، القاهرة، 1997 م، ص 24.

سماوية وتشريعات تؤثر في نمط الحياة والعلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة داخل الإطار[1] القبلي البسيط.

وتتمثل أهم الصور الدينية التي أعتقد بها السكان في هذه المناطق كالتالي:

تنوعت ممارسة المعتقدات الدينية عند الشعوب الساوية، نتيجة لتنوع الجماعات التي حملتها إلى المنطقة ، فعن طريق التنقيبات الأثرية ، تم الوصول إلى وجود تماثيل بشرية للساو صنعت من الطين المحروق:

1. الحيوانات المقدسة:

فقد أعطت المكتشفات الأثرية حول حوض بحيرة تشاد، الدليل على عبادة الحيوانات المقدسة، حيث وجد بأن لكل مدينة حيواناتها التي تحميها ولكل حيوان كاهنه الخاص الذي يقوم على خدمته، فكانت الحيوانات المقدسة تعيش على مقربة من مجاري المياه.

2. آلهة الماء:

تكونت نتيجة لبعض الأساطير التي تروي بأن امرأة كانت تسقي ماء من أحد الأنهار فأخذها الفيضان واتحدت بالماء – كما تقول الأسطورة– ومن هذا الاتحاد ظهرت آلهة الماء حول حوض بحيرة تشاد، وهذه الآلهة ذات أشكال بشرية طويلة حمراء، وبعضها يتزوج[2] من الرجال وينجب الأطفال الذين سيصبحون كهنة المستقبل ويعتقد أن آلهة الماء هذه هي التي تتولى تمويل السكان بالسمك.

3. عبادة الأشجار الكبيرة:

تعتبر الأشجار الكبيرة موضعاً للتقديس والعبادة لما يظن من أنها كانت مسكناً للآلهة ، وقد اعتاد السكان حول حوض بحيرة تشاد قديماً أن يدفنوا تحت هذه الأشجار بعض الأشياء المقدسة

---

[1]- أيوب ، محمد صالح ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 65 – 66.

[2]- أيوب ، محمد صالح ، مرجع سبق ذكره ، ص 66.

والأوعية التي تضم الضحايا ، ويعتقد السكان أن لهذه الأشجار تأثيراً في الخصب[1] والنمو، وجرت العادة بأن توضع بواكير الإنتاج عند هذه الأشجار.

4. عبادة الأحجار المنحوتة:

يتم تقديس الأحجار المنحوتة في منطقة رملية تنعدم فيها الصخور، وهناك تلال من هذه الصخور تحيط بالمدن، يذهب الناس إليها عندما يحتاجون إلى الابتهال إلى الآلهة قبل افتتاح موسم الصيد[2]، وتقام الأعياد الجماعية عند هذه الآلهة.

5. التخاطر:

هو انتقال الأفكار من فرد لآخر بدون استعمال وسائل الاتصال الحسية وهو شكل من أشكال الإدراك المعنوي.

6. قراءة الأثر:

هي حالة من الاستبصار ، وتكون لوسيط له القدرة على تلقي المعلومات من شخص لآخر بواسطة الاتصال ببعض متعلقات هذا الشخص باستعمال الملابس أو الخواتم.

7. خط الرمل:

يستخدم لمعرفة الحاضر أو المستقبل وله عدة حالات بعضها يرمز إلى الخير والبعض يرمز إلى الشر.

8. ممثلو الإله الأعلى:

عرفت جماعات الكوتوكو حول حوض بحيرة تشاد قديماً ممثلين للإله الأعلى أو الكبير وهم أناس لكل واحد منهم دوره في الحياة الاجتماعية مثل إنسان الماء وهو مختص من قبل الإله

---

[1]- المصدر نفسه، ص 66 – 67.

[2]- أحمد إبراهيم عباس وآخرون ، مخلفات شعوب الساو الأثرية ، بحث تمكن المتيريز المعمق في التاريخ القديم، 2008، مقدم إلى جامعة أنجمينا ، تشاد ، ص 15.

الأكبر بتصريف الماء، وهو الذي يعتقد الناس أنه يعطي السمك للصيادين، ودوره كبير أيام المطر، وكذلك أيام التصحر.

9. شعائر اليوندو:

يعتقد سكان الجنوب في تشاد بأن الإنسان يتعلم في ممارسته لشعائر اليوندو ، لغة جديدة في فترة الأربعين يوماً التي يقضونها فيها، وهذه اللغة تختلف عن اللغة التي يستعملها كل الناس في مداولاتهم العادية، إنها لغة أخرى لا يحسنها إلا من تربى في هذه الخلوات الوثنية ، ولا يدخلها إلا الرجال، لأن من حججهم أن النساء لا يؤمن من شرهن. كما يتعلمون في هذه المناسبات الموسمية الوثنية جميع أنواع السحر والعلاج، وتظهر هنا التخصصات داخل الطقوس، فلكل مناسبة زعيم روحي ، فصيد الأسماك من اختصاص صاحب الماء وبدون إذن يصدر منه لا يحصل الصياد[1] على سمكة واحدة ولو بقي شهراً على ضفاف النهر ، كما أن صاحب الأرض لا يخصب[2] الزرع إلا بإذنه، وصاحب الماء يجلب الجراد والحشرات إلى الزرع والحبوب إن لم يطع في أوامره ، وكل هؤلاء ينفرد باختصاصه ولا يتدخل في شؤون غيره ولا يجمعهم شأن معين، كل يعمل على شاكلته ، وكل واحد يخضع للأخر في نطاق اختصاصه ، وأحياناً تقع خصومات بين هذه الزعامات الروحية.

نخرج مما سبق باستنتاج جوهري حول الديانات الوثنية التي قامت حول حوض بحيرة تشاد مفاده أن مظاهر الديانات الوثنية هنا تعود في أكثرها إلى أصل شرقي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن جميع هذه المعتقدات تقوم على أساس واحد، هو عمق الإحساس بالروابط الوثيقة التي تربط المجتمع التشادي القديم بالبيئة الطبيعية. ولهذا لم تشر أي دراسة إلى وجود ديانة سماوية

---

[1]- عثمان ، أحمد عثمان ، أثر الهجرات البشرية القديمة في قيام حضارة شعب الساو ، بحث الدراسات المعمقة، 2005، مقدمة إلى جامعة الملك فيصل ، تشاد ، ص 53.

[2]- أيوب، محمد صالح، مرجع سبق ذكره، ص 67.

في هذه المنطقة سبقت الإسلام مما جعل الطريق مفتوحاً أمام الحضارة الإسلامية التي وصلت إلى هذه المناطق منذ القرن السابع الميلادي الأول الهجري.

المبحث الثالث

مدينة قاوي نموذجاً للعمارة والسياحة

مدينة قاوي نموذجاً للعمارة والسياحة:-

من أهم المظاهر الثقافية في حوض بحيرة تشاد عامة ومدينة قاوي خاصة ، حدوث تغيرات في الحياة الاجتماعية والسلوكية والفنية لسكان هذه المدينة ، فعلى الرغم من انتشار دين الإسلام في سائر غرب القارة الأفريقية، إلا أن ثقافته أثمرت في مدينة قاوي أكثر من غيرها ، وذلك بسبب قربها من المصادر الأساسية لهذا الدين، ومراكزه الثقافية سواء في الشمال الأفريقي أو من الشرق، فكانت عقيدة الإسلام وثقافته تنساب من الشمال إلى الجنوب عابرة الصحراء الأفريقية الكبرى، تحمل معها التعمير والبناء[1] والعزة والكرامة والرخاء، وبذلك انتقلت العادات والتقاليد الإسلامية السمحة ، فالإسلام يُعلي من شأن الأمم التي تعتنقه وسكان منطقة حوض البحيرة أخذوه بلغته العربية، وهذا يعتبر من أعظم تأثير المظاهر الثقافية الإسلامية على سلوك الناس الاجتماعي، ويظهر التأثير للثقافة الإسلامية في حياة شعوب حوض بحيرة تشاد بشكل واضح[2] حيث أمدتها بمبادئ التنظيم السياسي في الحكم، فنقلتها من الحكم القبلي إلى الحكم الرشيد ، و هذا التغيير نجده لدى جماعات الساو التي انصهرت مع جماعات من البربر والعرب والتبو والكانمبو في تجمع مشترك بقيادة من الأسرة السيفية التي أنشأت وقادت دولة كانم أو إمبراطورية كانم الإسلامية.

تدل الآثار المكتشفة حول حوض بحيرة تشاد على تجمعات سكنية تشادية قديمة يرجع تاريخها إلى حوالي خمسة الآف سنة قبل الميلاد ، وإن سكان هذه المدن هم الشعوب الساوية الذين سكنوا هذه المناطق وتركوا لنا آثاراً هامةً تدل على تقدم الحياة الصناعية لديهم، ويتميز أثر الفن المعماري في أفريقيا عامة ومنطقة بحيرة تشاد خاصة، بأنه انحصر في المدن الكبيرة وبيوت

---

[1]- الدكو ، فضل كلود ، الثقافة الإسلامية في العصر الذهبي لامبراطورية كانم من 600 – 1000 ه / 1200 – 1600 م، ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية – طرابلس ، 1998 ، ص ص 227 – 228.

[2]- أيوب/محمد صالح، الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق الترجمي ، دار وداى – تشاد (1853 – 1917) ط 1، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 2001 م، ص ص 86 – 87.

السلاطين وكبار التجار، أما عامة فن العمارة والبناء في المدن الساوية والقرى فقد ظل على الطريقة الأفريقية، ويتمثل في البناء المستدير المسقوف بالقصب والقش في شكل هرمي[1] أو مخروطي مدبب.

إن الشكل الأكثر شيوعاً في العمارة الأفريقية التقليدية هو السكنى ضمن أكواخ من النبات أو الطين أو الأخشاب، وعادة يكون الفناء الخارجي للسكن محاطاً بأكوام الشوك القصيرة.

وتعود هذه الأشكال من العمارة الأفريقية إلى عامل التكيف مع المناخ والبيئة الأفريقية، حيث أن فصل الخريف عادة ما تهطل فيه الأمطار الغزيرة التي لا تصمد معها بيوت الطين طويلاً، لذا اتخذوا من مادة القش والقصب لسقف المنازل، أما حوائط الجدران فكانت تبنى في الغالب بالطوب الأخضر لدى عامة الناس، وأما السلاطين وميسوري الحال فإنهم يبنون منازلهم بالطوب الأحمر.

والخلاصة فإن العمارة الساوية ضمن المدن الأفريقية اتخذت الأشكال التالية :-

1. **الشكل المربع** : ويسقف بالجريد ويغطى بالتراب وتحاط جوانبه العلوية بإطار قصير الارتفاع، وكثيراً ما يتخلل هذا الإطار ثقوب ضيقة وفتحات على الأطراف الخارجية حتى لا يستقر الماء على السطح .
2. **الشكل المعماري الأفريقي القديم** : وهو الحائط المستدير والقاعدة المستديرة أيضاً، ويسقف غالبا بالقش أو القصب ، انظر الشكل (18).

[1]- أيوب، محمد صالح، مظاهر الثقافة العربية، مرجع سبق ذكره، ص 41.



شكل رقم (18) يوضح شكل المعماري الأفريقي القديم

عدسة الباحث ، المصدر : مدينة قاوي الأثرية

3. **الشكل المعماري الأصيل لأفريقيا قبل مجيء الإسلام :** هو البناء المستدير المسقوف بالقصب والقش، في شكل هرمي أو مخروطي مدبب ، وقد يعود ابتداع ذلك الشكل إلى عامل التكيف مع المناخ[1] والبيئة الأفريقية ، و يتم بناء هذه المنازل قديماً بواسطة خلط القش مع الطين، وبعد أن يخمر يكون البناء بالطين والحجارة من غير مواد لاصقة[2] ، انظر الشكل (19) .

[1]- الدكو / فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد، مرجع سبق ذكره، ص 225.

[2]- الألماني رولفس، رحلة عبر أفريقيا، في ليبيا وبرنو وخليج غينيا، 1865 – 1867 م، ترجمة. عماد الدين غانم، ط 1، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ص 349.



شكل رقم (19) يوضح شكل المعماري الحديث (قصر السلطان)

عدسة الباحث ، المصدر : مدينة قاوي الأثرية

إن بيوت مدن الساو في الشمال خاصة في مدينة بلماء وكوار قديماً ، كانت عبارة عن أكواخ ، والبيوت فيها منخفضة، ولها باب واحد وهو المدخل، إلا أنها مقسمة عدة أقسام، والسقوف المسطحة تتكون من جريد النخل أو قصب السكر، بُنَيت مدن الشمال الأفريقي من أغصان أشجار رقيقة، وبطريقة فنية، وفي الأعلى سطح من القش مقاوم للمطر، يقوم على قاعدة مستديرة يبلغ قطرها **15 – 20 قدما**، وترتفع[1] **10 – 15 قدما**، وحول الجدران تلتف أوراق في فصل الصيف، وفي بعض الأسر الكبيرة يكون لها بيوت مصنوعة من القصب، ويتم الطبخ عادة في العراء تحت سطح يحمي من أشعة الشمس والمطر، أما سكن الأسر البسيطة عادة يتكون من

[1]- المصدر نفسه، ص 446.

ثلاثة إلى أربعة أكواخ، تقوم داخل جدار من الطين أو الحصر، والذي يدعى **(فتو)** بلغة الكوتوكو والتبو.

أما الواجهة الأمامية للبيت فتكون ذات جدران طينية مغلقة ومن الخلف تُوصل الحيطان إلى نوع من السرداب المفتوح وتترك فتحة بين الجدران والسقف القشي بحيث يمكن من خلالها مرور الهواء وإدخال أشعة الشمس. أما بيوت السلطان والتجار الغرباء والأعيان فتبنى من الطين وسقوفها مسطحة، لا يجري عليها المطر بصورة كافية لتصريفه ، وهي بذلك تتطلب الصيانة بعد كل هطول غزير، لأن الطين لا يستطيع مقاومة الأمطار. هنا من ناحية شمال البحيرة خاصة في مدينتي الكوار والبلماء اللتان سكنهما الشعب الساوى[1] قديماً ومن بعده الزغاوة الذين سيطروا على الشعب الساوى لفترة من الزمن حيث أصبح ملك الساو تحت قيادة ملك الزغاوة. ومن هنا تجدر الإشارة إلى أن الزغاوة كان لهم فن معماري قبل الإسلام بقرون عديدة، ومن هذه الآثار **(الجاع)** وهو عبارة عن سور على نمط هندسة سور الصين، وهو بناء من جدارين متوازيين قوامهما[2] حجارة صلبة بينهما الحصى المختلط بالطين والتربة الناعمة يربط بين الجدارين ، كما أن بيوتهم القديمة لها طرز معمارية تتمثل في فناء البيت وغرفة للمنادات وغرفة تفتح في غرفة بمسار طويل.

إذاً فإن أنماطاً جديدة من مظاهر الثقافة الإسلامية التي انتقلت إلى أهالي مدن الساو عامة ، ومدينة قاوي خاصة، كان لها التأثير المباشر في جميع الفنون المختلفة نتيجة الهجرات الخارجية التي كانت لها إضافات ثقافية لتلك المدن القديمة التي أسسها الشعب الساوى وسكنها من بعدهم أحفادهم الكوتوكو.

---

[1]- رولفس الألماني، مرجع سبق ذكره، ص 704.

[2]- الدالي / الهادي المبروك، قبائل الزغاوة عمق التاريخ وواقع الجغرافيا، منشورات البحوث والدراسات الأفريقية، ط 1، طرابلس،2013 م، ص 115.

إن مدينة قاوي، تعتبر من أقدم المنشآت التي تعبر عن حضارة الشعوب الساوية العريقة بحوض بحيرة تشاد، وبسبب التجديدات التي أتى بها البلالة المنحدرون من دال بالنيجر أصبحت مدينة قاوي، منطقة ذات حضارة قائمة إلى يومنا هذا، يقصدها الزوار المحليون والأجانب من أجل مشاهدة آثار الساو وأحفادهم الكوتوكو ، وهذا ما يؤكد لنا التقدم الذي شهدته المدينة في العصور الماضية. وتبلغ مساحة هذه المدينة ما يقارب حوالي 180,000 متر مربع وأول من اكتشف مدينة قاوي هو العالم الأثري الأمريكي **ولسون**[1](**Wulsin**) وذلك في عام **1928** م ، ثم تبعه بعد ذلك عالمة الآثار الفرنسية **فرانسواز سترنين كلوستر** عام **1966 م.**

أول من سكن هذه المدينة هم الصيادون الساويون حوالي القرن السابع الميلادي ، وبعدهم سكنها الكوتوكو أحفاد الساو، كالاكفرا والبلالة الذين جاؤوا من دال، وقد عاش هؤلاء في مدينة قاوي باسم كوتوكو ساو، ونسبة لانتعاش هذه المنطقة بالثروة الطبيعية هاجرت إليها العديد من الشعوب المجاورة، خاصة من مملكة باقرمي ومدقا وكسرى والعرب ، حتى أن أم السلطان عبد الرحمن قورنق الثاني عندما زارت مدينة قاوي أعجبت بها وبالتالي طلبت منه بأن تسكن في هذه المنطقة، وعاشت فيها وماتت بها، ومازال قبرها بالمدينة.

ويتوزع سكان مدينة قاوي على أربعة حارات وهي:

- تكر (Tikir) في الشمال الشرقي.
- حدي (Hide) في الشمال الغربي.
- انقامي (Ngame) في الجنوب الشرقي.
- حطي قاوي (Hiteyawi) في الجنوب الغربي.

---

[1]- زكريا ، حسن قاسم ، الصناعات الخزفية في مدينة قاوي، بحث درجة التمكن (المتيريز) في التاريخ القديم، جامعة أنجمينا ، 2004 م ، ص 3.

ولكل حارة باب واحد موجه لأحد الجهات الأربعة. وقاوي عبارة عن قلعة محصنة محاطة بثلاث جدران متداخلة تكون حزاماً أمنياً [1]. وتنقسم مدينة قاوي إلى أربع حارات لكل حارة موقعها الخاص بها الذي يستخرج منه الطين، حيث يقمن النساء غالباً بهذا الدور، وهن يحفرن الطين من المكان الخاص به وبعد تجميعه يحملنه إلى مكان الصناعة، وهنا يتم جمعه على شكل أكوام، ثم يضعنه على الماعون لصنع الأدوات منها: وعاء الأكل، سفارات ، الثقل التي توضع على شباك الصياد، الأداة التي توضع عليها الجرة، تماثيل بشرية، أدوات طقوسية، صحون لتقديم الأكل. حتى أنهم صنعوا منها الجلجل، وهو عبارة عن جرس مصنوع من الفخار، ورؤوس النشاب .

إن مجموعة هذه الأدوات والآلات على الرغم من تنوعها إلا أنها أتت بالرسالة الجديدة التي تشير بوحدة علاقة الثقافة بين العصور القديمة والعصر الحديث.

وأمتاز الشعب الساوى ببناء المدن ، والصناعات كالبرونز والحديد والنحاس وصناعات الفخار بمختلف أنواعه ، ومن الفنون الساوية هناك التماثيل البشرية القليلة والكثيرة التنوع، كذلك تفننت شعوب منطقة – الساو، في صناعة السفن من نبات البردي التي اكتسبوها من أهل مصر قديماً، ومن جانب آخر يوضح **كي – زيربو** بأن وضع القرون الحيوانية على رأس الإنسان في الفن الساوى ، ما هو إلا تعبير عن امتلاك فعلي لهذا الحيوان.

وجدت حضارة الشعب الساوى اهتماماً متميزاً من قبل المستعمر الفرنسي دون غيرها من الحضارات الأخرى، في إطار هذه المهمة بعث المركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا عدة بعثات علمية إلى المنطقة (**حوض بحيرة تشاد**) شمل مدينة **قـــاوي:**

- **1936 – 1937 م**، بعثة بقيادة **جان بول لوبييف**.

---

[1]- المصدر نفسه، ص 5.

- **مارس 1937 م**، عمل **غريول** و**جان بول لوبييف** معاً.
- **1947 م**، بعثة بقيادة **أني. م. د** و**جان بول لوبييف.**
- **1960 – 1968 م**، **أني** و**جان بول لوبييف** و**فرانسواز ترنين كلوستر** و**كورتي ج – دونكي خالي كامارا** عملوا في موقع مدقا.
- **في الفترة ما بين 1960 – 1972 م**، عمل **شابيل** في التنقيبات الأثرية في مدينة قاوي، وكانت هذه البعثات تدعم أيضاً من سكرتارية الدولة في التعاون، وإدارة المتاحف بفرنسا، والبرنامج رقم **117** وفريق البحث رقم **150** التابع لـ **المركز الوطني للبحث العلمي**، وذلك بإشراف **جان بول لوبييف**، وبعد إجراء التنقيبات المختلفة أخذ الجزء الأكبر من البقايا الأثرية إلى متحف الإنسان بباريس[1]، والجزء الآخر إلى المتحف الوطني التشادي بأنجمينا.

ومن هنا يمكننا أن نعرف كم كان هذا المستعمر الذي نسي أو تجاهل ما يراه ويشاهده من حضارات وثقافات أخرى ظاهرة على أرض الواقع المعاش ، وهي تلك الحضارات المتمثلة في الممالك الإسلامية التي وجدها المستعمر، وهي مسيطرة على أغلب مناطق حوض بحيرة تشاد، وأن هذه الممالك جميعها تدين بالدين الإسلامي الذي دخل القارة الأفريقية عن طريق الدعاة والتجار العرب المسلمين، وإن جميع دواوين هذه الممالك كانت تكتب باللغة العربية، والثقافة الرائدة أو السائدة والمنتشرة كذلك إسلامية ، ولغة التفاهم بين شعوب تلك الممالك المختلفة اللغة العربية ، بينما الحضارة الساوية لم تكن لديها حروف مكتوبة أو لغة خاصة بها تربط بين شعوبها المتعددة، ومع ذلك بذل جهوداً كبيرة لكي يجعلها هي الأساس[2] لحضارة حوض بحيرة

---

[1]- عثمان، أحمد عثمان، مرجع سبق ذكره ، ص ص 44 – 45.

[2]- أيوب / محمد صالح ، جذور الثقافة العربية في وسط أفريقيا ، باجرمي ، مجلة الثقافة العربية ، عدد (11-12) السنة (16)مطابع الثورة، بنغازي ، 1989م ، ص 60.

تشاد دون غيرها، إذاً ماذا يعني هذا؟، يعني أن هؤلاء لديهم كره دفين للثقافة العربية الإسلامية، ومن حملها ونشرها، وأن الرابط[1] بين الشعوب والقبائل التشادية المختلفة هي اللغة العربية التي فرضت وجودها عبر العصور الماضية، وفي الوقت الحاضر أيضاً، وهي العامل الأساسي للمجتمع التشادي الذي يتكون أكثر من ثلاثمائة قبيلة لا تجمعها لغة واحدة، وإنما تتواصل هذه القبائل كلها عن طريق اللغة العربية، وبالتالي نجد أن الاستعمار عندما جاء إلى تشاد أهملها وسعى لإظهار ثقافة وحضارة شعب الساو.

بدأ تيار الثقافة العربية الإسلامية في السودان الأوسط منطلقاً من المراكز الثقافية الشمالية والشرقية منذ القرن الخامس عشر، ومما لا شك فيه أن موقع مدينة قاوي الاستراتيجي لعب دوره الكبير بالنسبة للسودان الأوسط والغربي، لا سيما بعد أن أصبح الإسلام هو الدين الأكثر شيوعاً في الشرق، وأعظم تأثيراً على الحياة الاجتماعية، وأصبح السودان الأوسط مركزاً لسيادة[2] المؤثرات العربية سواء القديمة منها أو الوسيطة.

وخلاصة القول فإن منطقة حوض بحيرة تشاد قد عرفت الإسلام منذ أن فتح المسلمون فزان وكوار ، والتي أخذ الإسلام في الانتشار منها رويداً رويداً ، فتوغل في السودان الأوسط عن طريق الجاليات العربية ، ويعتبر ديوان سلاطين برنو هو التاريخ الرسمي للأسرة السيفية المالكة في كانم[3] منذ تأسيسها في حدود عام **800 م**، وأهم توسع لكانم آنذاك كان في الشمال، حيث حكموا فزان من سنة **919 م** إلى سنة **1173 م**، إن مدينة قاوي دخلت ايضاً هذا التأثير الإسلامي الجديد.

---

[1]- الأحمد / امحمد مصباح، العلاقات العربية الأفريقية، ط 1، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2001، ص 185.

[2]- أيوب . محمد صالح ، التغيرات الاجتماعية الكبري وأثرها على الشخصية التشادية ، بحث مقدم ضمن الندوة العالمية حول الهوية التشادية التي أقامها المعهد الوطني للعلوم الإنسانية ، في الفترة ما بين 25-1991/11/29م ، جامعة تشاد.

[3]- الأحمد ، أمحمد مصباح ، مرجع سبق ذكره، ص 184.

موقع مدينة قاوي الأثرية الجغرافي جعلها تتميز دون غيرها من المدن الساوية التي أقيمت على ضفاف بحيرة تشاد ، بالجانب السياحي حيث جذبت إليها السياح ، وتلعب السياحة دوراً مهماً في كافة نواحي الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية البارزة في العالم اليوم، لأن الدولة ذات الاقتصاد الضعيف ، أماكن سياحية ، والتي توجد بها بإمكانها استغلال هذه الموارد ليعود عليها بذلك ملايين العملات الأجنبية[1] التي تساعد في انتعاش الاقتصاد الوطني أي تساعد في دخل المواطن بصفة عامة، لأن قدوم السائح إلى بلد السياحة يحتاج إلى مكان إقامة ومواصلات ومرشد سياح وشراء بعض الأدوات المصنوعة محلية (**يدوية**) هذه الأشياء كلها مع غيرها تدفع الدخل القومي إلى الرقي والتقدم المعيشي للمواطن العادي.

فإذا نظرنا إلى تشاد بأطرافه المترامية، فإنه يحوي في أراضيه على العديد من المعالم الطبيعية السياحية المتنوعة، فمن صحراء تمتد شمالاً وسلاسل جبلية عالية، إلى غابات مدارية تمتد جنوباً، وسهول واسعة في الوسط، يتخللها قمم انفرادية جميلة المنظر، وأنهار وبحيرات متناثرة في مختلف أرجائها ومحميات طبيعية غنية بالحياة البرية ، كلها تساعد في جذب السائح إذا وجد المناخ المناسب لذلك مثل الأمن ، السكن المريح ، المواصلات الجيدة، الطرق ومن ناحية الحياة البرية تمتلك تشاد ثروة كبيرة جداً من الحيوانات البرية غير **(المستأنسة)** إذ قدر عدد[2] الأنواع المعروفة من الحيوانات البرية بحوالي ستمائة وسبعة وعشرون نوعاً قبل عام **1990 م،** منها اثنان وعشرون نوعاً مهددة بالانقراض، وضخامة حجم الحيوانات وتنوعها في تشاد يعود إلى اتساع مساحتها وامتدادها الطولي من المنطقة شبه الاستوائية في الجنوب حتى مدار

---

[1]- المحمودي / عبد الله أحمد، الآثار، آراء ونظريات،محاضرة بأكاديمية الدراسات العليا، طرابلس ، 30 / 09 / 2006 م ،

[2]- صالح، / عبد الله بخيت، جغرافية تشاد – السياحة في تشاد، ط 1، مكتبة بورصة الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ، 2012 م ، ص 138.

السرطان في الشمال، وقد هذا الامتداد الجغرافي الشاسع إلى تنوع البيئات الطبيعية المتباينة[1] والتي تشمل البيئة الصحراوية في الشمال، أضف إلى ذلك المواقع الأثرية التي لها نفس الدور في انتعاش الموارد القومية للبلاد أيضاً، ويقصد بالإقليم الأثري الموقع الفلكي بالنسبة لخطوط الطول ودوائر العرض، حيث لعبت دوراً هاماً في تحديد خصائص نوعية المناخ وأشكال التنوع النباتي ذات التأثير السياحي الجاذب ، وهي العوامل المؤثرة بصورة مباشرة وغير مباشرة في الإنسان من حيث التوزيع الجغرافي والمستوى الحضاري، وتتمثل قيمة المواقع الجغرافية لدول العالم تبعاً لتمتعها بطرق ووسائل النقل البرية والبحرية والجوية، ويعتبر الموقع المناسب القريب من الأسواق الرئيسية المصدرة للسياحة عامة هو العامل الأساسي في صناعة السياحة الناجحة ، وأن مدينة قاوي تتمتع بهذا المكان وذلك لسهولة اتصالها بالعالم الخارجي بوسائل النقل المختلفة، وخاصة إذا كان موقعها قريباً من مناطق الطلب السياحي، كما هو الحال بالنسبة لكل من **هونج كونج** و**سنغافورة**[2] و**قبرص** و**مصر** و**تونس** و**المغرب** و**ليبيا** القريبة من الدول الأوروبية، وفي بعض الأحيان يؤثر الموقع الجغرافي في تحديد جنسية السياحة، بل أحياناً في تحديد مدة الإقامة، إضافة إلى ذلك أن القرب المكاني لبعض دول العرض السياحي من دول الطلب السياحي يقلل تكاليف السفر بحكم قصر المسافة الفاصلة بينهما مما يزيد احتمالات طول مدة الإقامة، بعكس الوضع في حالة طول المسافة بين دولة السائح والدولة المتجه إليها، والتي تعتبر تزيد في تكاليف السفر مما يؤدي إلى تراجع أو تناقص مدة الإقامة على الأقل بالنسبة للسياح متوسطي الدخل، فمثلاً تنقل السياح من مدينة أنجمينا إلى دولة الكاميرون المجاورة وبسبب التكاليف العالية يؤثر في مدة الإقامة التي يقيمها السائح في مدينة أنجمينا، فهي تعتبر عملية

---

[1]- المصدر نفسه، ص 138.

[2]- آدم، طه أحمد، السياحة ودورها في التنمية الاقتصادية في مدينة أنجمينا، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الدراسات العليا، طرابلس، 2010 م ، ص 15.

طرد غير مباشر للسائح فعلي الدولة في مثل هذه الحالة أن تعمل على إقامة أماكن ذات إيجار مقبول ومناسب يكون في متناول الجميع، مع مراعاة فوارق الدخل لكل سائح ، وهذا يجعل السائح راغباً في القدوم إلى المنطقة ذات الموقع الأثري ، أيضاً توفير الأمن بصفة عامة وحماية السائح بصفة خاصة، لأن السائح يعتبر غريباً في البلاد ، وبالتالي لا يعرف الأماكن الأكثر خطراً عليه ، ولهذا على الدولة أن تقوم بواجبها مع تعاون المواطن لتوفير الحماية اللازمة لهذا السائح، وبما أن مدينة قاوي تعد من أهم المدن الأثرية بحوض بحيرة تشاد، وأهم معلم أثري في المدن الأثرية في تشاد، وهي تمتاز بغنى المظاهر السياحية، فإنها ذات مناظر خضراء، وتحيط بها الأشجار الدائمة الخضرة، وهي كبيرة الحجم، وبخصوص الجوانب السياحية الجاذبة للسائح، توجد هناك العديد من العناصر التي تمتاز بها تشاد، خاصة في الجنوب، حيث الغابات الطبيعية التي تزخر بأنواع نادرة من الحيوانات[1] البرية مثل الفيلة والزراف والأسود والجاموس وفرس النهر .. إلخ، وكذلك أنواع من الطيور النادرة ذات الأشكال المختلفة.

أيضا هناك الكثبان الرملية في الشمال والشرق والواحات والعيون والجبال الشاهقة التي تتخللها الأودية الجافة والأنفاق الطبيعية.

كما توجد آثار الحضارات القديمة للممالك والسلطنات الإسلامية كحضارة مملكة وداي وكانم وبرنو وباقرمي والصناعات اليدوية الفلكلورية الشعبية التي يتقنها الصناع التشاديون[2] في كافة أرجاء البلاد، أن هذا الجانب السياحي إذا وجه بصورة علمية مدروسة للأماكن الأثرية سوف يكون له عائد كبير من العملات الأجنبية التي تدفع عجلة التقدم للبلاد بصفة عامة ، وللمواطن بصفة خاصة ، الأمر الذي ينعش الاقتصاد الضعيف لبعض بلدان العالم.

---

[1]- برشم، نورين مناوي، تشاد بين التحديات والآفاق، ط 1، ،مطبعة الزحف الأخضر، باب العزيزية، طرابلس، 1995 م، ص 95.

[2]- آدم، طه أحمد، مرجع سبق ذكره، ص 16.

بما أن مدينة قاوي الأثرية ضمن المنشآت القديمة ، فقد أدت الأضرار التي نشأت بفعل الزمن والإنسان إلى اختفاء الآثار وفنون العمارة القديمة، حيث كان يطلق على حضارة الساو **(100 – 1500 بعد الميلاد)** التي تقع على الشواطئ الجنوبية لبحيرة تشاد اسم[1]" **حضارة الصلصال** " وذلك بسبب غزارة وتنوع المشغولات والأدوات المنزلية المصنوعة من الخزف ، وفي المدن القديمة التي قاومت ظروف الطبيعة هي مدينة وارا ، العاصمة الأولى لوداي التي أسسها السلطان الأول **عبد الكريم** في منتصف القرن السابع عشر ، ونظراً لحماية الطبيعة للمدينة بفعل الكتل الصخـرية الصغيرة ، فإنها ما تزال تضم آثاراً للمساكن الرئيسية ، وتنوع فنون العمارة البائدة ، حيث أنها تتسم بخصائص لا تزال موجودة ، نستطيع من خلالها معرفة مقاييس ثابتة للمساكن ، ومن بين النماذج المتعارف عليها والمشهورة في التراث القديم ، يوجد نموذج **موسجوم** وهو يرمز إلى (**كوخ Obus)** أو **Teleuk**وهو الذي يتميز بأكواخ ذات أسقف بها شرفات مربوطة بها مخازن غلال مرتفعة تشكل قلاعاً صغيرة تبدو[2] حقيقية، ويعد قصر ملك **ليري** خير مثال على هذا النموذج المعماري القديم لحوض بحيرة تشاد، كذلك قصر السلطان بمدينة قاوي الأثرية ، يعتبر نموذجاً للعمارة للمدن الساوية بحوض بحيرة تشاد في الوقت الحاضر كذلك، تنوع المنحوتات التي تضم تماثيل صغيرة لبعض الأشخاص والحيوانات وتوجد أيضا رؤوس منظمة وقطع هندسية ذات أشكال هلالية ، وكرات شائكة ، اقترنت بوظائف غير محددة **(قديما[3] كانت تعتبر مثل النقود)** لذا يتميز فن الخزف بالوفرة والدقة بمدينة قاوي الأثرية قديماً وحديثاً ، تنفرد دون غيرها من مدن الساو سابقاً والكوتوكو أحفاد الساو حالياً بحوض البحيرة.

---

[1]- أطلس تشاد، مطابع Meme، فرنسا، 2008م ، ص 18.
[2]- أطلس تشاد، مرجع سبق ذكره، ص 19.
[3]- أطلس تشاد، مرجع سبق ذكره، ص 20.

كما نجد أن نماذج الفن المعماري القديم للمدن الساوية بحوض بحيرة تشاد قد تنوعت من القديمة إلى المتوسطة والحديثة منها بمدن الساو ، بمختلف المناطق التي قامت بها تلك المنشآت المعمارية ذات الطراز الأفريقي الأصيل الذي يتكيف مع المناخ العام للبيئة الأفريقية، مع قدوم التأثيرات الخارجية المتمثلة في الهجرات القديمة إلى حوض البحيرة، إلى أن جاء الإسلام إلى القارة الأفريقية، وانتشاره فيها بصفة عامة، وبحيرة تشاد بصفة خاصة، كان له الأثر الأكبر في مجال العمارة هناك مع المحافظة على الطراز الأفريقي الغالب، وذلك يرجع إلى المناخ والبيئة الطبيعية الأفريقية الحارة أو الساخنة في أغلب الأحيان.

الخاتمة : -

اولاً _ توصلت الدراسة إلى مفهوم كلمة الساو في العربية والأجنبية واتضح للباحث أن التسمية عربية بالرغم من اختلاف الآراء حول أصول الشعب الساوى فمن المرجح أنهم مهاجرون من وادى النيل قبل أن يستقروا في آخر المطاف في ضواحي البحيرة حيث بنوا مدنهم الحالية التي تعود إلى العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث ، ليس في تشاد فحسب بل في الدول المجاورة مثل النجير ونيجيريا والكاميرون والسودان وليبيا .

ثانياً _ أفادت الدراسة أن هجرة الشعب الساوى أنهم يُنحدر من شبه الجزيرة العربية في العهود القديمة إلى أفريقيا ومنها إلى منطقة بحيرة تشاد بالسودان الأوسط وذلك يرجع إلى ما قبل التاريخ والعوامل التي أدت إلى هجرات هذه الشعوب تتمثل في الظروف الطبيعية الطاردة بشبه الجزيرة والشعب الساوى كغيره من الشعوب التي هاجرت من الشرق والشمال واستقرت بضواحي البحيرة.

ثالثاً _ حاولت الدراسة من الناحية النظرية أن توضح أثر الحضارة الساوية على حوض بحيرة تشاد والجماعات الوافدة إليها عامة ، مما أدى إلى ظهور تأثيرات ثقافية جديدة لها أثرها في الحضارات القديمة ، وركزت الدراسة في هذا الإطار على الدور الفني والثقافي الذي قامت به الجماعات الوافدة والمحلين في حوض البحيرة والتي يقودها الشعب الساوى، وذلك من خلال المخلفات الأثرية فأوضحت هذه الدراسة أهمية دراسة حضارة الشعوب الساوية من خلال أدواتها الفنية وماجلبته تلك الشعوب الوافدة من خبرات جديدة.

رابعاً _ أثبتت الدراسة إن للشعب الساوى حياة اقتصادية حيث يشتغلون بالزراعة والصناعة واصطياد الحيوانات البرية والبحرية.

خامساً _ من خلال هذه الهجرات حصل تمازج اجتماعي وتطور في الحياة الفنية والاجتماعية والسياسية.

سادساً _ توصلت الدراسة إلى أن حياة الشعب الساوى الاجتماعية تسيطر عليها العصبية الإقلمية لذا نراهم متفرقين في جميع الإقليم السوداني الأوسط، وكان لنسائهم دور بارز في السلطة القيادية ومن أشهر خصائص الحضارة الساوية بناء المدن المحاطة بالاسوار وعرفوا صهر الحديد والبرونز والأواني الفخارية والخزفية .

سابعاً _ أثبتت الدراسة أن أول ماجاء ذكره في أغلب المصادر والمراجع التي تحدثت عن تاريخ منطقة حوض البحيرة ، من الشعوب الموجودة بهذه المنطقة هم الشعب الساوى . ولكنهم لم يتوصلوا إلى الأصول الحقيقية لهؤلاء التي ترجع إليها هذه المجموعة .

ثامناً _ توصلت الدراسة إلى أن القبائل الساوية من أقدم الشعوب الأفريقية التي سكنت حول حوض بحيرة تشاد ، ولها حضارة أعترف بها علماء الآثار الذين اجروا عليها التنقيبات في أماكن المخلفات الأثرية للساو .

تاسعاً _ توصلت الدارسة إلى أن أصول الساو تعود إلي سلالة الهكسوس على أساس التشابه في الخلقة والدور الذي قام به هؤلاء في القارة الأفريقية وأولئك في مصر ، وذلك من خلال اعتمادهم على الخيل في حروبهم واستعمالهم الحراب والسهام الراشقة والعربة التي تربط خلف الحصان ليقف عليها الفارس .

عاشراً _ يعد تحديد ظهور حضارة الساو وقيامها أمراً صعباً جداً، حيث أن المؤلفات التي تحدثت عنها لم تتفق في ذلك وربما يعود السبب إلي عدم وجود كتب تركها أصحاب هذه الحضارة الساوية ، لذا وجد الباحث أن معظم المعلومات التي تتعلق بهذه الحضارة تعتمد على

الروايات الشفوية التي يغلب عليها دائماً الطابع الأسطوري إضافة إلي المخلفات الأثرية وهي العنصر الأساسي لمثل هذه الأمور ، إذاً المصدر الرئيسي هو المخلفات واللقى الأثرية للحضارات القديمة ، فالحضارة الساوية إن لم تكن مكتوبة من قبل أصحابها إلا أنها لها وجود على أرض الواقع .

الحادي عشر _ .قام الباحث بعدة زيارات ميدانية إلي بعض أماكن المخلفات الأثرية الساوية بحوض البحيرة تمخض عنها جمع عدد من الصور الفوتوغرافية التي تمت الاستعانة بها في الكتابة والتوثيق العلمي .

الثاني عشر _ توصلت الدراسة إلي أن (803) موقعاً أثريـاً تم تحديده من مخلفات حضارة الساو، و(639) منها تم تحديدها بتشاد .

الثلث عشر _ لدراسة مخلفات حضارة الشعب الساوى وتحديد تاريخها استخدم علماء الآثار الكربون المشع (C 14) .

الرابع عشر _ أعطت الإدارة الفرنسية لحضارة الساو إهتماماً بالغاً دون غيرها فأرسلت البعثات العلمية من أجل دراسة وتنقيب المواقع الأثرية وجمعت الروايات الشفوية ثم ظهرت المؤلفات .

الخامس عشر _ توصلت الدراسة إلي أن أقدم مدينة أسسها الساو هي مدينة (دايما) حوالي (450) قبل الميلاد ، بنيجيريا وتليها مدينة مدقا حوالي (425) قبل الميلاد بتشاد .

السادس عشر _ توصلت الدراسة إلي أن تكوين الشعوب الساوية للمدن قريبة من مصادر المياه وإحاطة هذه المدن بسور عالي لحمايتها من هجمات الأعداء من الخارج وإقامة القرى الصغيرة التابعة.

السابع عشر _ إن جميع ساكني هذه المدن والقرى التابعة لها مارسوا حرفة الزراعة والصيد وتربية الحيوانات.

الثامن عشر _ كذلك يشتركون في ممارسة الصناعات اليدوية مثل الفخار والخزف والأواني الفخارية بمختلف أحجامها .

التاسع عشر _ الغريب في الأمر أن هذه الشعوب الساوية لا تتحدث لغة واحدة وإنما لكل مدينة أو قرية لها لغة خاصة بها دون غيرها ، وأن هذا الموضوع جعل الباحث يتسأل هل فعلاًأن الشعوب الساوية هي من جنس واحد أو من عدة أعراق عاشت بهذه المنطقة ؟ ، علماً إن هذه الشعوب الساوية منتشرة في عدة دول حدودية ، والوسيلة الوحيدة التي تجمع بينها هي اللغة العربية ، فالباحث يرجح أن هذه الحضارة التي تنسب إلي الشعوب الساوية هي ليس لشعب واحد وأنما لعدة شعوب توافدت إلي منطقة البحيرة ، وأن المسألة متروكة للبحوث والحفائر الأثرية القادمة لكي تجيب عليها في المستقبل.

العشرون _ توصلت الدراسة إلى أن معظم الحضارات الإنسانية القديمة قد نشأت حول مصادر الأنهار والوديان التي تتميز بالري الطبيعي والتربة المتجددة سنوياً .

الحادي والعشرون _ توصلت الدراسة إلى أن القارة الأفريقية ربما كانت مهد البشرية أجمع لأن معظم الاكتشافات الأثرية تشير إلى وجود الإنسان بهذه القارة قبل غيرها .

الثاني والعشرون _ توصلت الدراسة إلى أن في سنة 2001 تم اكتشاف بصحراء تشاد بمنطقة كوروتورو على بعد 800 كم شمال مدينة أنجمينا بواسطة فريق من علماء الآثار الفرنسيين والتشاديين في الموقع توروس منيالا جمجمة في الرمال تعود إلى سبعة ملايين سنة قبل الميلاد

تعود إلى كائن ليس إنساناً ولا قرداً ولكنه كائن واقف وهو يعد سلف الإنسان الأقدم حتى اليوم حسب رأي علماء الآثار بعد إجراء التحليلات المعملية عليه .

الثالث والعشرون _ توصلت الدراسة إلى أن منطقة حوض بحيرة تشاد لها ميزة خاصة جعلت كثيراً من الشعوب المهاجرة تنجذب إليها نظراً لموقعها الجغرافي الإستراتيجي في العصور القديمة وذلك على الاتجاهين في الشرق والشمال والأراضي المحيطة بها كذلك .

الرابع والعشرون _ توصلت الدراسة إلى أن الصحراء الكبرى لم تكن عائقاً دون التواصل ،بل كانت جسراً لتوطيد الصلات البشرية بين الشمال والجنوب الصحراوي وكانت هناك طرق تربط بين الشمال والجنوب تعبرها الحمير محملة بالبخور والأبانوس .

الخامس والعشرون _يعد الساو شعب وثني فقد عبدوا التماثيل البشرية والحيوانية التى صنعوها من الطين المحروق والبرونز وغيرها .

التوصيات:

1.يجب الاهتمام بدراسة الحضارة الساوية والكشف الكلي بمنطقة البحيرة حتى يتم فتح الطريق والوصول للحلقة المفقودة في تاريخ تشاد القديم وتواصل بين الشرق والشمال وحوض بحيرة تشاد.

2. تعد هذه الدراسة قاعدة يمكن الرجوع إليها لأجل مواصلة البحث في هذا المجال.

3. جاءت فقرات هذه الدارسة لتشمل كل المجالات المتصلة بالبحث والمرتبطة بآثار حضارة الشعب الساوى .

4.على الجهات المسؤولة المتخصصة التعاون مع الباحثين في تنظيم دراسات علمية منظمة وإعادة تنقيب المناطق الأثرية التي تم تحديدها .

5. على الجهات المسؤولة أن تقدم الحماية اللازمة للمواقع الأثرية من التخريب والسرقة .

6. الاهتمام بالآثار الساوية من جميع الجوانب وصيانتها خاصة إنها تقع في منطقة صحراوية متعرضة للكثير من عوامل الطبيعة التي تؤدي مع طول الزمن إلى تلفها .

7. إرسال البعثات الأثرية إلى المواقع الأثرية وذلك من أجل الاستكشافات الأثرية حتي نصل إلى الحقيقة الغائبة التي توضح أهمية الحضارة الساوية بحوض بحيرة تشاد في تلك الفترة الزمنية.

8. يجب تقديم الدعم المادي اللازم للباحثين والمنقبين خاصة في مجال علم الآثار .

9. التنسيق بين الدول في إطار المؤسسات العلمية البحثية ، في دول الصحراء ، ولإجراء بحوث علمية لإثراء الجوانب المختلفة في إطار العلاقات الموجودة عبر الزمان والمكان حتي تكتمل صورتها.

10. لعله من المفيد إقامة معارض أثرية متنقلة بين دول الصحراء لإثبات وحدة الثقافة الأفريقية والعربية .

وبعد أرجو أن يكون الباحث قد وفق فيما قام به طيلة اعداد هذه الدراسة ، محاولاً جهده الاستفادة قدر الإمكان مما أتيح له ، والكمال لله وحده ، فإن أصبت فبفضل الله سبحانه ، وبتوجيه أستاذي الجليل فله منى كل الشكر والعرفان . وما أنا إلا طالب حاول أن يجري بحثاً منهجياً والله هو المستعان على كل شئ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية

- القرآن الكريم
- الحموي ، ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ، جـ4، ط1، بيروت ، 1991م .
- الحموي ، ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ، جـ3، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990م.
- ابن خلدون ، كتاب العبر ، تاريخ ابن خلدون ، جـ1 ، دار الفكر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 1971 م.
- ابن خلدون ، المقدمة ، دار العلم ، بيروت ، 1981م.
- ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،1957م.

ثانياً : الكتب العربية

- الماحي ، عبد الرحمن عمر ، المجتمع التشادي في عهد الاحتلال الفرنسي (1918 – 1960) ، الجريسي القاهرة ، 1997م.
- أيوب ، محمد صالح ، مجتمعات وسط أفريقيا بين الثقافة العربية والفرنكفونية ، منشورات مركز البحوث التاريخية والدراسات الأفريقية ، سبها ،1992م.
- أيوب ، محمد صالح ، مظاهر الثقافة العربية في تشاد المعاصرة وتحديات العولمة ، مطابع الصفاء التجارية ، القاهرة ، 2008م .
- أيوب ، محمد صالح ، الدور الاجتماعي للشيخ عبد الحق السنوسي الترجمي ، في دار وداي – تشاد (1853–1917م)، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، طرابلس ، 2001م.

- الدكو ، فضل كلود ، الثقافة الإسلامية في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم ، من (600-1000 هـ/1200 – 1600م)، منشورات الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، 1998م.
- الدالي ، الهادي المبروك ، قبائل الزغاوة عمق التاريخ والجغرافيا ، منشورات البحوث والدراسات الأفريقية ، ط1، طرابلس ، 2013م.
- الميار ، عبد الحفيظ فضيل ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 2001م .
- الأحمد ، أمحمد مصباح ، العلاقات العربية الأفريقية ، ط1، دار الملتقي للطباعة والنشر ، 2001م .
- الفنادي ، صلاح الدين محمد وآخرون، تاريخ الوطن العربي وحضارته في العصور القديمة ، 1998م.
- الخياط ، عبد الله خليفة ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، منشورات الجامعة المفتوحة ، طرابلس ، 1992م.
- الجفائري ، محمد عبد السلام ، من منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، طرابلس ، 1989م.
- أطلس تشاد ، ط1، مطابع MAME ، باريس ، 2008م .
- آدم ، يوسف شعيب ، أصل شعب الساو وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية ، بحث مقدم إلى جامعة أنجمينا ، قسم التاريخ العربي ، 2000م.
- أمينة الشيخ وآخرون ، موقعة قاوي الأثرية ، بحث مقدم إلي جامعة أنجمينا – قسم التاريخ العربي ، 2013م.

- أبو دمة ، عز الدين مكي ، مملكة قاوي حضارة سبعة وعشرون قرناً ، 600 قبل الميلادي ، مركز الصقر للطباعة والنشر ، أنجمينا ، 2012م.
- أحمد إبراهيم عباس وآخرون ، مخلفات شعوب الساو الأثرية ، بحث التمكن من المتريز في التاريخ القديم العربي ، مقدم إلى جامعة أنجمينا ، 2008م.
- اليونسكو ، موسوعة تاريخ أفريقيا ، إعداد اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ أفريقيا ، جـ2، حضارات أفريقيا القديمة ، إشراف جـ ، مختار ، جين ، أفريك ، باريس ، 1985م.
- أرشيف المتحف الوطني، الآثار في تشاد.
- أفريقيا لمار ماكول كفرجال ، أقدم سكان أفريقيا ، جـ1 ، الرياض ، 1983 م.
- بيومي ، مهران محمد ، مصر والشرق الأدني بلاد الشام ، دار المعارف الجامعية الإسكندرية ، 1990م.
- برشم ، نورين مناوى ، تشاد بين التحديات والآفاق ، ط1، مطبعة الزحف الأخضر باب العزيزية ، طرابلس ، ، 1995م.
- بن يونس ، إبراهيم صالح ، تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم ، شركة البابي الحلبي وأولاده ،القاهرة ، 2008م.
- تنقو ، أحمد صالح ، أضواء علي تاريخ السودان من داكار إلي بورتسودان ، ط1، جـ1، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ، الخرطوم ، 2011م .
- تنقو ، أحمد صالح ، أضواء علي تاريخ السودان من داكار إلي بورتسودان ، جـ2، ط1، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ، الخرطوم ،2011م .
- تاريخ تشاد من عصر ما قبل التاريخ وحتى أيامنا هذه ، JAGAR ، طبع بواسطة لور – اوفست تيتولية – سانت اتيان ، منشورات 2013م.

- حسن ، حسين محمود محمد ، سلسلة الأدب التشادي (4) ، الاسكندرية ، 2007م.
- زكريا ، حسن قاسم ، الصناعات الخزفية في قاوي ، بحث مقدم لدرجة المتريز في التاريخ والحضارة ، جامعة أنجمينا ، 2004م.
- زينب عبد الرحمن وعرفة عثمان ، دراسة مقارنة لآثار الساويين بين موقعتي مدقا وقاوي ، بحث مقدم لدرجة التمكن في التاريخ القديم ، جامعة أنجمينا ، 2003 م.
- زريق ، قسطنطين ، في معركة الحضارة في ماهية الحضارة وأحوالها في الواقع الحضاري ، ط3 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1977م.
- شمس ، أدم كردي ، تاريخ تشاد ومعركة التحديات ، الرياض ، 1993م.
- صابر ، محي الدين ، التغير الحضاري في مجتمع أفريقيا ، دراسات ميدانية عن قبائل الازاندي (نيام – نيام) ، المكتبة المصرية العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1987م.
- صالح ، بخيت عبد الله ، جغرافية تشاد السياحية في تشاد ، ط1، بورصة الكتب للنشر والتوزيع القاهرة ،، 2012م .
- ضيدان ، حميد دولاب / الجذور التاريخية للصلات العربية الأفريقية ، ط36 ، مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، سبها، 1993م .
- طرخان ، إبراهيم علي ، امبراطورية برنو الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1975م.
- علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ2، بمشاركة جامعة بغداد ، 1993م.
- عثمان ، أحمد عثمان ، أثر الهجرات البشرية في قيام حضارة الساو ، بحث الدراسات المعمقة في التاريخ والحضارة ، مقدم لجامعة الملك فيصل ، 2005م.

- عبد اللطيف ، علي محمد ، أفريقيا العربية ، ط1 ، مكتب الإعلام والبحوث والنشر بجمعية الدعوة الإسلامية ، بنغازي ، 1998م.
- عصفور ، محمد أبو المحاسن ، المدن الفينيقية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1981م.
- غيث ، أمطير سعد ، التأثير العربي الإسلامي في السودان فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر ، دار الرواد ، ط1، طرابلس ، 1996م.
- ماجة ، محمد أبكر ، سلطنة لوغون الإسلامية تاريخها وحضارتها ما بين القرن السابع عشر والقرن العشرين الميلادي ، بحث مقدم لنيل الدراسات المعمقة في التاريخ والحضارة ، جامعة أنجمينا ، 2002م،
- منصور ، أحمد صبحي ، مقدمة ابن خلدون ، دراسة أصولية تاريخية ، مركز ابن خلدون ، دار الأمين للدراسات الإنمائية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1998م.
- وافى ، علي عبد الواحد ، مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، جـ1 ، ط1، دار نهضة ، مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، القاهرة ، (ب،ت،ن).
- يونس ، محمد المبروك ، تاريخ التطور السياسي للعلاقات العربية الأفريقية ، 1952م ، 1977م ، طرابلس ، 1986م.

ثالثاً : الكتب المعربة

- الألماني رولفس ، رحلة عبر أفريقيا ، في ليبيا وبرنو وخليج غينيا ، 1865م – 1867م ، ترجمة عماد الدين غانم ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس.
- بيير ، جاماش ، تاريخ أفريقيا الاستوائية الفرنسية ، ترجمة عمر طلعت زهران ، القاهرة ، 1900م.

- جان ، مازيل ، تاريخ الحضارة الكنعانية ، ترجمة ريا الخش ، دار النشر والتوزيع اللاذيقية ، 1998م.
- دافيدسون ، باسيل ، أفريقيا القديمة تكتشف من جديد ، ترجمة نبيل بدور وسعد زغلول ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة (ب،ت،ن) .
- ديشان ، هوبيير ، الدينات في أفريقيا السوداء ، ترجمة أحمد صادق حمدي ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1956م.
- دافيدسون وآخرون ، علم الآثار الأفريقي Tchad 2500 ahs.
- كي زيربو ، جوزيف ، تاريخ أفريقيا السوداء ، سلسلة دراسات أفريقية ، (10) ترجمة عقيل الشيخ حسين ، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والأعلان ، مصراته، 2001م .

رابعاً : المقالات العلمية

- أيوب ، محمد صالح ، بحيرة تشاد وانتشار اللغة العربية في وسط أفريقيا ، مجلة الثقافة العربية ، العدد الأول ، السنة السابعة عشر ، مطابع الثورة ، بنغازي ، 1989م.
- أيوب ، محمد صالح ، جذور الثقافة العربية في وسط أفريقيا ، باجرمي ، مجلة الثقافة العربية ، عدد (11-12) ، السنة (16) ، مطابع الثورة ، بنغازي ، 1989م.
- التواصل العربي الأفريقي قبل الإسلام وبعده ، مجلة قراءات أفريقية ، العدد السابع ، محرم ، ربيع أول 1432 هـ / مارس ، الخرطوم ، 2011م.
- الطيبي ، أمين توفيق ، مقال كانم برنو بالسودان الأوسط صلات تاريخية عريقة بالشمال الأفريقي ، مجلة البحوث التاريخية ، السنة العاشرة ، العدد الثاني ، منشورات جامعة الفاتح ، طرابلس ، 1987.

- مؤسسة الخضري الصحيفة ، صورة شاملة عن البلاد الأفريقية ، مؤسسة علي شكل إعداد خاصة لجمهورية تشاد ، قام بإعدادها مجلة الوعد ، شارك في الترجمة والتحرير ، هناء خضري ، بيروت ، عنوان الصفحة شعوب الساو ، شارع مار منصور بنية نيكي ، بيروت العربية ، (ب،ت،ن)

خامساً : الرسائل والأطروحات العلمية

- آدم ، طه أحمد ، السياحة ودورها في التنمية الاقتصادية في مدينة أنجمينا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، أكاديمية الدراسات العليا ، طرابلس، 2010م.
- يوسف ، عبد الرحمن عيسي ، جذور العلاقات التاريخية التشادية السودانية من انهيار مملكة مروي إلى قيام دولة الساو في حوض بحيرة تشاد من (350 – 700) ، دكتوراه مقدمة إلى جامعة أفريقيا العالمية ، غير منشورة، 2011م .

سادساً : الموسوعات ودوائر المعارف والقواميس

- إبراهيم أنس / عبد الحليم منتصر عطية / الصوالي ، المعجم الوسيط ، ط1–2 ، القاهرة ،1972م
- المنجد في اللغة والأدب والعلوم ، ط18 ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1965م.
- الطاهر أحمد الزاوي ، مختار القاموس ، مرتب علي طريقة مختار المصباح المنير ، الدار العربية للكتاب ، 1984م.
- المنجد في اللغة والإعلام ، ط 36 ، ط 22 ، دار الشروق ، بيروت ، 1997م.
- إبراهيم أنيس وآخرون ، ط1 ، القاهرة ، 1972م .
- الموسوعة العربية العالمية ، أعمال المؤسسة للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1999م.

- وجدى ، محمد فريد ، دائرة معارف القرن العشرين ، جـ9 ، ط3 ، تاريخ مكة ، دار المعرفة ، بيروت ، 1971م.

سابعاً : الأبحاث والمقابلات والندوات :

- العشري ،بكر محمود محمد عطية ، الجذور التاريخية التشادية المصرية ، ندوة اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل ، 30-26 شوال 1421 هـ/ 21-25 يناير ، منشورات الدعوة الإسلامية العالمية ، 2003م ، طرابلس ، 2001م.
- أيوب ، محمد صالح ، التغيرات الاجتماعية الكبري وأثرها علي الشخصية التشادية ، بحث قدم ضمن أعمال ، الندوة العالمية حول الهوية التشادية ، التي أقامها المعهد الوطني للعلوم الإنسانية ، جامعة تشاد ، في الفترة ما بين 25 – 1991/11/29م.
- الماحي ، عبد الرحمن عمر ، ما هو التاريخ في المفهوم الإسلامي ، ورقة أكاديمية في مادة المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره ، قسم الدراسات العليا ، جامعة الملك فيصل ، بتاريخ 2004/12/22 م.
- ابه حسن اجى ، تاريخ مملكة قاوي ، مقابلة معه تمت بقصر السلطان بمدينة قاوي يوم 2013/2/8 م.
- مقابلة مع الأخوات العاملات بميدان صناعة الفخار بقاوي ، مدينة قاوي الأثرية، بتاريخ 2011/1/20م.
- لقاء مع سلطان المدينة حسن عبد الله محمد ، وذلك من أجل أخذ المعلومات التي تتعلق بثقافة هذه المدينة ، قاوي الأثرية.، بتاريخ 2011/1/15م .
- مقابلة مع الأخت رمان مهاجر بشير ، إحدى العاملات بصناعة الفخار بمدينة قاوي بتاريخ 2001/1/19م .

ثامناً : المصادر والمراجع الأجنبية :

- Jean paul lebeuf et masson de trovbet civil isationtiov dv tchad, paris. 1950
- Lebevf. Jpimasson, d. lacivilisation dttchad, payot, 1950,paris.
- Detrov betanniemassovextraitoe popvlaaion onzjuillet setembra , 1951.
- Canar/ cafe: pages d'histoirena Naturellede la terre imprimairie du ichab '8' 1996 ndjamena aoutpp de tovrbet annie massou; extrir depul attonnoz juilet septmbre, 1951.
- De mocrphote, essai de tvde, de moja phove de kotoko (region de, tshad) de trovbet annie massovextr ait de popvlation hoz jjillet, 1951, sebtembere.
- Lebeuf,J, ante, m, D; lesartsdes sao lameroun. Tchad. Nigeria. Hene, 1977.
- Jean paul lebeuf, carr, archeologiguedes abord , Tchad. 1960
- Jean paul lebeuf, carr, archeologiguedes abord du lac, Tchad. 1960
- Lebeuf. J. P: Afchelojie Tchadienne les sao du cameroun et du tchad, herman, paris. 1962,
- Davidson, B: lagedufer En Afrigue central Est Esgrissed, Une He ppo the Bulldel Taculte Des Lettres Shos Louge, mars. 1964

- Jean paul et annie lebuf. Et amaisson detourbe T. Laciulisation du Tchad, paris. 1950
- Jean paul et annie lebeuf. Les Art de Sao cammeroun (Tchad) des edition du chene.paris.1977.